كتب
سياسية

السياسة الخارجية الأمريكية
منذ الحرب العالمية الثانية

تأليف جون و. سبانيير
ترجمة سامي حسن سري
مراجعة حسين الحوت

مقدمة المؤلف

الهدف الذى سعيت اليه من وراء تاليف هذا الكتاب هو ان اقدم عرضا للسياسة الخارجية الامريكيه منذ عام ١٩٤٥ : اى منذ انهيار التحالف الذى كان قائما بين الغرب والاتحاد السوفييتى فى أثناء الحرب العالمية الثانية ، وبداية الحرب الباردة . وسوف يتضمن هذا العرض ذكرا للجهود الكثيرة التى بذلتها كل من حكومتى ترومان وايزنهاور لكبح جماح التوسع الشيوعى فى اوروبا وآسيا والشرق الاوسط . وهذا الكتاب لا يعد ، مع ذلك ، مجرد تسجيل للأحداث ، ولكنه يعتبر اساسا تحليلي للسياسة الخارجية الامريكية فى الفترة التى أعقبت الحرب العالمية الثانية واننى آمل ان يسهم الكتاب فى تفهم أحداث الماضي وادراك المشكلات الاساسية التى تواجه الولايات المتحدة الآن فى المحيط الدولى بصورة أكثر تعمقا ، وخاصة المسألتين الجوهريتين اللتين تتوقف عليهما سلامة الولايات المتحدة والعالم الغربى بل بقاؤهما وهاتان المسألتان هما : طبيعة الاستراتيجية العسكرية الأمريكية ، ومستقبل الدول المتخلفة .

والتحليل الذى يتضمنه هذا الكتاب يدور فى نطاق الاسلوب التقليدى الذى تتبعه الولايات المتحدة فى معالجتها للشئون الخارجية . ذلك لانه منذ بداية عام ١٩٦٠ اصبحت هناك دلائل كثيرة على أن الديموقراطية الامريكية ، بكراهيتها الشديدة لسياسة القوة ، قد عاقت ، ومازالت تعوق اعطاء رد كاف على التحديات الايديولوجية والاجتماعية والاستراتيجية لهذا العصر .

فالديموقراطية ، بفصـــلها بين الحرب والسلم وبين القـــوة والدبلوماسية ، جعلت من المحال ايجاد وحدة بين القوة والسياسة. كما أن الاستراتيجية العسكرية الامريكية كانت سببا فى شـــل سياستنا الدبلوماسية .

على ان الازمة الحالية للسياســة الخارجية الامريكية هى ، باختصار ، ازمة المجتمـــع الامريكى . لان الديموقراطية تعتبر من نتائج ثقافة الطبقة الوسطى السـائدة فى المجتمع الأمريكى . وهذا الكتاب يركز الاهتمام على الدعوة لاعادة النظر فى هـــذا الوضـــع وتعديله .

الباب الأول

أسلوب الديموقراطية في معالجتها للسياسة الخارجية

في اعقاب الحرب العالمية الاولى كتب هالفورد ماكيندر ، عالم الجغرافية السياسية الانجليزي يقول : « ان من يحكم اوروبا الشرقية يسيطر على قلب العالم ، وهذا القلب يتألف من روسيا والصين وكذلك ايران وافغانستان ، ومن يحكم قلب العالم يسيطر على الجزيرة العالمية ، التي تتألف من اوراسيا وافريقية ، ومن يحكم الجزيرة العالمية يسيطر على العالم » . وبعد مضي عدة سنوات رد نيكولاس اسبايكمان ، عالم الجغرافية السياسية الامريكي ، على ماكيندر ، فكتب يقول :

« ان من يحكم بلدان الحافة (1) ، يحكم قارة اوراسيا ، ومن يحكم اوراسيا يتحكم في مصير العالم » .

ولا يستطيع اثنان من المتطرفين تلخيص فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية بمثل هذه المهارة . فالاتحاد السوفييتي والصين الشعبية يحتلان الآن الجانب الاكبر من قلب العالم ، تحيط بهما

---

(1) تتألف الحافة العالمية من الدول الاسكندنافية ودول اوربا الغربية وايطاليا واليونان وتركيا والدول العربية وايران وأفغانستان والهند وبورما وتايلاند والملايو والهند الصينية وكوريا . وتعتبر الحافة جزءا من قارة أوراسيا .

بلدان الحافة المكشوفة على طول حدود تمتد مسافة ٢٠ الف ميل . ويسعى الشيوعيون الى مد سيطرتهم الى هذه البلدان ، وهذا من شأنه ان يجعل من الولايات المتحدة والامريكتين ـ اى نصف الكرة الغربى ـ جزيرة منعزلة وسط بحر خضم . وستصبح سلامة امريكا حينئذ مزعزعة جدا ولا يمكن حفظ الأمن فيها الا اذا تحولت امريكا الى حامية مسلحة ، وتم تنظيم المجتمع الامريكى على هذا الاساس . وهو شرط لا يتلاءم مطلقا مع اسلوب الحياة الامريكى . وعلى اسوأ الفروض ، ستصبح الولايات المتحدة تحت رحمة الكتلة السوفييتية التى تسيطر على قارة أوراسيا . وان مقدرة الولايات المتحدة على حفظ امنها ـ بل فى الواقع ضمان بقائها تحت هذه الظروف ـ انما يعتمد على مدى قدرتها على ايجاد توازن للقوى فى اوراسيا لمنع الشيوعيين من التوسع الى داخل بلدان « الحافة » او قيامهم باضعاف فاعلية هذه البلدان .

وفى عام ١٩٤٥ كان استعداد الولايات المتحدة لخوض النضال ضد الشيوعيين وتولى مسئولياتها الدولية اكثر ضعفا مما كان عليه فى اى وقت آخر .

فالديموقراطية الامريكية ، فى نظرتها الى العالم والى رسالة امريكا فى هذا العالم ، لم تراع ، الا فيما ندر ، حقائق التحدى الذى واجهته .

وهناك عاملان هما السبب الرئيسي فى ذلك . احدهما أن امريكا تعتبر ، الى حد كبير جدا ، مجتمع الطبقة الواحدة او الطبقة المتوسطة ، اذ يشترك جميع افراد هذا المجتمع فى معتقدات وقيم راسمالية وديمقراطية واحدة . فى حين نجد ان المجتمعات الاوربية، على العكس من ذلك ، تضم ثلاث طبقات ، فهى ليست مؤلفة من طبقة متوسطة واحدة ، وانما تضم هذه المجتمعات ايضا طبقة

ارستقراطية توجه كل اهتمامها ونشاطها لدعم اقدامها فى الحكم او فى العمل على الاستيلاء على الحكم من جديد من اجل اعـــادة عهود الاقطاع التى كانت سائدة فى الماضي . وبجانب هذا ادت حركة الانتقال من الريف الى الحضر وحركة التصنيع التى صاحبتها فى اوروبا فى خلال القرن التاسع عشر ، الى ميلاد طبقة بروليتاريا. وقد تحولت طبقة البروليتاريا هذه الى طبقة ثورية لأنها شعرت بأنها لا تحصل على قدر عادل من الدخل القومى . وباختصار كانت امم العالم القديم تتألف من ثلاثة عناصر ارستقراطية رجعية ، وطبقة وسطى ديمقراطية ، وطبقة بروليتاريا ثورية . فاذا نظرنا الى هذا التقسيم من الناحيتين الثقافية والسياسية فاننا نضعه على النحو التالى : يمين ، ووسط ، ويسار .

وليس لدى الولايات المتحدة الا « وسط » فقط من الناحيتين الثقافية والسياسية كما انها تفتقر الى حركة يســـــارية حقيقية معارضة ، كالاشتراكية او الشيوعية .

ومن اهـــــم نواحى الصرامة فى المجتمع الامريكى انه على الرغم من اتفاق الامريكيين فى المعتقدات الى حد كبير ، فان خوفهم من الخطر الخارجى يدفعهم الى الاصرار على ضرورة تأكيد الولاء « لأسلوب الحياة الامريكى » ومطاردة الجماعات ، أو القـــوى ، الداخلية التى تخون هذا الاسلوب فى الحياة . وأن مجرد ابداء الاعتراضات يعرض الاشخاص للاتهام بعدم الولاء ، وبأن تفكيرهم ومسلكهم « غير امريكى » ومن ثم نجد المجتمع الامريكى شـــــديد الحساسية فيما يتعلق بالنشاط الهدام ، كما انه يخشي الخيانة فى الداخل كلما تعرضت الامة للتهديد من الخارج .

والسبب الآخر الذى يعزى اليه عدم الاستعداد الشـديد من جانب الولايات المتحدة لخوض ميدان السياسة الدولية بعد الحرب

العالمية الثانية ، ينقسم الى ثلاثة عوامل هى : لبرالية القـــرن التاسع عشر ، وفلسفة الطبقة الوسطى ، ومبدأ الامن الخارجى .

فالتفكير اللبرالى كان مهتما بنوعين فقط من العلاقات وهما : علاقة الافراد بعضهم ببعض ، وعلاقة الافراد بالنسبة للدولة .

وقد كان هذا التفكير فى حد ذاته انعكاسا لنضـــال الطبقة الوســـطى فى أوربا ضـــد الدولة الاقطاعية التى تملك أقوى السلطات . وكانت الطبقة الوسطى ترى أن سلطة الدولة جاءت من افتقار الافراد الى الحرية ، ولذلك كان هدف هذه الطبقة العمل على تقييد سلطة الدولة .

ولن تتمكن هذه الطبقة من الظفر بالحرية الفردية ، وفوق كل شيء الحصول على الحق فى انشاء المشروعات الفردية ـــ وهو ماتسعى اليه بالذات ـــ الا عن طريق فرض القيود على ســـلطة الدولة .

وقد أدى قيام الفلسفة اللبرالية بالتركيز على حقوق الافراد والتقليل من سلطة الدولة ، الى تجاهل هذه الفلسفة لوظيفـــة الدولة فى توفير الامن . على انه لكى تتمكن الدولة من توفير الامن للأمة فيجب أن تكون الدولة قوية ، ولكى تتوافر للدولة هذه القوة فانها قد تلجأ الى تقييد حريات المواطنين ، والتدخل فى الاقتصاد واخضاع السلطة التشريعية للسلطة التنفيذية .

الا أن اللبرالية ، على الرغم من ذلك ، تطالب باكبر قـــدر من الحرية للأفراد ، ولكى توفر للفرد حقوقه فانها تلجأ الى تقييد سلطة الدولة . ومن اجل هذا قرر الدستور الأمريكى تقســـيم السلطة بين الولايات المتحدة والحكومة الفيدرالية ، كما قســـم السلطة داخل الحكومة الفيدرالية ذاتها فوزعها بين ســـلطة

تنفيذية واخرى تشريعية وثالثة قضائية . وان نظام الاتحاد الفيدرالي وفصل السلطات كان المقصود منه هو الابقاء على الحكومات في حالة من الضعف .

ومما زاد من عدم اهتمام الليبرالية بالامن القومي كراهيتها « لسياسة القوة » ولاستخدام العنف ، واعتقادها بأن المنازعات انما تنشأ بفعل رجال الدولة الاشرار الذين فسدت اخلاقهم وعقولهم نتيجة لممارستهم سلطة غير محدودة . واعتقادها كذلك بأن السياسة المبنية على استخدام القوة انما هي اداة للحكام الانانيين الاستبداديين — او الحكام الذين لايقبدهم راي عام ديمقراطي — الذين يعملون على تحويل هذه الأداة لخدمة مصالحهم الشخصية . وينظر هؤلاء الحكام للحرب على انها لعبة كبيرة . فهم يستطيعون البقاء في منازلهم الفاخرة ينعمون بأطيب انواع الطعام وبكل وسائل الراحة والترفيه دون ان يكابدوا شيئا من متاعب الحرب وآلامها . ولا تقع تلك المتاعب والآلام الا على راس الاشخاص العاديين : فهم الذين يجب عليهم ان يتركوا عائلاتهم ويذهبوا للقتال ، وأن يتحملوا الضرائب المرتفعة التي تفرضها نفقات الحرب الباهظة ، وربما تدمر بيوتهم ايضا ويصاب احباؤهم او يقتلون .

والنتيجة التي يصل اليها تفكير الليبرالية من ذلك كله هي أن الدول غير الديمقراطية شريرة وميالة للحرب بالوراثة . اما الدول الديمقراطية : التي يتحكم فيها الشعب في حكامه ويستبدل بهم غيرهم بصورة دورية . فانها تكون مسالمة وتراعي القيم الخلقية .

والتجارب التي مرت بها امريكا تؤيد هذه الافتراضات الفلسفية عن طبيعة الانسان وطبيعة السياسة . فقد استطاعت هذه الدولة ان تعزل نفسها عن دوامة السياسة الدولية في خلال الشطر الكبير من القرن التاسع عشر وفترة غير قصيرة في القرن

العشرين ، لان الدول المجاورة لها في الشمال والجنوب كـانت ضعيفة ، ولان المحيطين الهادى والاطلنطى متسـعان كما ان الاسطول البريطانى كان ملتزما تنفيذ اتفاق للسلام مع امريكا . ففى ظل هذه الظروف كان السلم يبدو انه الشيء الطبيعى السائد ، كما كان يبدو أن الديمقراطية هى المرادف للنوايا السلمية والمسـلك السلمي . وقد أخذ الامريكيون يعملون على عزل انفسهم عن أوربا خشية أن تتسرب اليهم التركيبات الاجتماعية والعادات الدولية غير الخلقية المتوارثة فى أوروبا .

وأكد « مبدأ مونرو » الذى صـدر عام ١٨٢٣ ، لاول مرة وبصورة رسمية ، وجود الخلاف الايديولوجى بين العالم القديم والدنيا الجديدة . فقد أقر المبدأ بصفة خاصة أن النظام السياسي الامريكى مختلف اختلافا أساسيا عن النظام السياسي فى أوروبا ، التي تنشغل دولها بصورة مستمرة بخوض الحروب .

ومبدأ اللبرالية ، الذى يفترض أن الانسان تدفعه رغبة فى الكسب الاقتصادى ، جاء ايضا انعكاسا للتجربة التى مرت بهـا أمريكا ، فقد توافد على الاراضي الامريكية ملايين الاشخاص وهم يسعون الى حياة أفضل من حياتهم فى بلادهم . وكـانت التربة الامريكية العذراء ، ذات الثروات الطبيعية ، تهيىء فرصا ذهبية لانشاء المشروعات الفردية الخاصة ، التى تدر أرباحا طائلة . وان كسب المال ليس ضرورة اقتصادية فقط لتوفير مستوى معيشي مريح للفرد ، ولكنه ايضا ضرورة نفسية تمكن الفرد من الظفر بوضع اجتماعى ممتاز وأن ينال احترام زملائه . ويستتبع ذلك ، منطقيا ، أنه اذا كان الكسب المادى هو العامل الرئيسي الذى يميز بين الافراد ويخلع عليهم الاحترام ويضـعهم فى المراكز الاجتماعية الممتازة ، فان كل فرد سوف يشغل كل اهتمامه بالسـعى وراء « صاحب الجلالة الدولار » . ولذلك فليس هناك مايدعـو الى

الدهشة اذا وجدنا أن المال يوشك ان يصبح هو المستوى الشائع لتحديد القيم فى الولايات المتحدة ، بصورة تفوق ما يحدث فى أى بلد آخر . فالمال هو رمز القوة والنفوذ ، ودليل النجاح .

ومن الطبيعى ، انه مادام الفرد يحشد كل طاقاته فى العمل على زيادة أرباحه فانه انما يعمل فى الوقت نفسه على زيادة نفوره من سياسة القوة ، وزيادة تباطئه ، فى تحويل اهتمامه الى المسائل الخارجية .

واخيرا ، نجد أن مما زاد من عدم فهم امريكا لطبيعة القوة والوظائف التى تؤديها على المسرح الدولى ، هو عدم تعرض امريكا للتهديد المستمر من الخارج ، ونموها الاقتصادى السريع دون أن يصاحب ذلك اى صراع طبقى داخلى . كما اننا نجد ان العناصر الساخطة لم تشكل ابدا ايديولوجية ثورية لأن الرخاء المطرد يمتص هذه العناصر قبل أن تتمكن من ترجمة سخطها على الرأسمالية الى عمل سياسي . وعلى العكس من ذلك ، نجد ان الدول الاوربية ، بما فى داخلها من صراع طبقى وما بينها من منازعات خارجية ، تقدر دائما طبيعة القوة والدور الذى تقوم به .

ولقد اتضح عدم ادراك امريكا لاهمية عامل القوة فى العلاقات الدولية بأجلى صورة حين دخول أمريكا الحرب العالمية الاولى . وقد كان السبب فى دخول امريكا هذه الحرب هو قيام المانيا بشن حملة الغواصات عام ١٩١٧ بصورة اصبحت تهدد بانهيار ميزان القوة فى الحرب الاوربية ، ولو ان الحلفاء الغربيين انهزموا امام المانيا فى ذلك الوقت ، وهو ماكان يبدو محتملا ، لكان على امريكا أن تواجه دولة المانية تبسط سلطانها على القارة الاوربية كلها وتسيطر على روسيا الاوربية وتتحالف مع النمسا والمجر والامبراطورية العثمانية ، كما تمد نفوذها الى البلقان والشرق

الاوسط حتى الخليج الفارسي . وكان هذا من شأنه ان يشكل تهديدا خطرا لسلامة أمريكا . الا ان امريكا لم تكن لتقرر التحالف مع فرنسا وبريطانيا فى هذه الحرب لو ان الالمان لم يشنوا حرب الغواصات الخطيرة فى ربيع عام ١٩١٧ .

وبذلك دخلت الولايات المتحدة الحرب العالمية الاولى وهى فى فراغ سياسي . ولم يكن الشعب الامريكى يدرك على الاطلاق الحقائق المتعلقة بالقوة ومقتضيات الامن التى جعلت من دخول أمريكا الحرب أمرا تحتمه الضرورة القصوى . ولكن الشعب الامريكى كان يعتقد أن بلاده انما تقاتل من أجل الحرية والديمقراطية وتخوض حربا مقدسة للقضاء على الاستبداد والعسكرية الالمانيين. ولالغاء سياسة القوة الى الأبد .

وبعد الحرب الاولى عادت أمريكا الى سابق عهدها ورفضت أن تواجه مسئولياتها كدولة كبرى . وبدلا من أن تقوم بدورها الملائم فى الشئون الدولية وتحاول حفظ التوازن الدولى — من أجل منع وقوع الحرب التالية — دفنت رأسها فى الرمال اكثر من عشرين عاما .

وكانت النتيجة ان المانيا التى تحالفت هذه المرة مع ايطاليا واليابان (الى جنب تحالفها مع الاتحاد السوفييتى فى الفترة مابين عامى ١٩٣٩ و ١٩٤١) — اخذت تسعى من جديد للسيطرة على العالم . وادى الهجوم اليابانى على بيرل هاربر عام ١٩٤١ الى دخول أمريكا الحرب العالمية الثانية . وبذلك لم تفلح سياسة النعامة التى اتبعتها أمريكا فى منع موجات السياسة الدولية من ملامسة الشواطىء الامريكية من جديد .

وان قيام الولايات المتحدة بالنفض من شأن القوة ، كما اتضح

من كل هذه الاحداث . يدل على انها تفصل فى وضوح بين الحرب والسلم فى معالجتها للسياسة الخارجية .

فالسلم تميزه حالة من الانسجام بين الدول أما سياسة القوة أو الحرب ، فهى امر غير طبيعى .

وان الامريكيين لا يوجهون اهتمامهم الى العالم الخارجى الا فى تباطؤ شديد ، وهم لا يفعلون ذلك الا حينما يستثارون ، أى حين يصبح التهديد الخارجى من الوضوح بحيث لايمكن تجاهله . فاذا ما استثيرت امريكا واضطرت لاستخدام القوة فانها انما تدخل الحرب لحماية المبادىء التى تؤمن بها ، وللعمل على الغاء سياسة القوة التى تنبذها . فاذا ما انتهت الحرب فانها تعود الى الانطواء على نفسها من جديد والاهتمام بأمورها الداخلية . ذلك لان تحويل الاهتمام عن المسائل الداخلية — التى هى اكثر اهمية من غيرها — الى المسائل الخارجية لما يدعو الى الضيق فى الولايات المتحدة ، ولهذا فان تحويل الاهتمام الى الشئون الخارجية لايحدث الا بصفة مؤقتة .

وان الولايات المتحدة ، فى معالجتها لشئون السياسة الدولية، لا تفصل فقط بين حالتى الحرب والسلام ، وانما هى تفصل ايضا بين القوة والدبلوماسية . فمن المفروض ان الدبلوماسية ، التى لاتؤيدها القوة ، تعمل على المحافظة على الانسجام بين الدول ، فاذا ماتفشلت الدبلوماسية فى حفظ السلام ، فان الاعتبارات العسكرية تصبح فى المحل الأول من الاهمية ويجب الالتجاء حينئذ الى استخدام القوة .

وكان من نتيجة الفصل من قيمة القوة ، ومعالجة السياسة الخارجية بأسلوب اخلاقى ، ان أصبحت الولايات المتحدة غير قادرة على الربط بين القوة العسكرية والاهداف السياسية . ونحن نجد

ان اية امة لاتستطيع ان تمارس سياسة خارجية فعالة الا اذا ربطت بين هاتين الناحيتين . فالدبلوماسية ، باعتبارها اداة تحمى بها الامة مصالحها دون الالتجاء الى القوة ، لايمكنها ان تحقق اهدافها مالم تكن مؤيدة بالقوة العسكرية .

والموقف الذى واجهته الولايات المتحـــدة عام ١٩٤٥ لم يتح لها الفرصة فى ان تظل متخلفة عن الدخول فى الصراع الدولى . فالتهديد السوفييتى كان يتطلب وضع سياسة بعيدة المدى تربط بصورة فعالة بين عوامل القوة السياسية والعسكرية والاقتصادية، وفوق كل شيء كان يتطلب الالتزام بسياسة معينة بصفة دائمة . ولم تكن الولايات المتحدة لتستطيع التملص من خوض هذا الصراع اذا رغبت فى ان تبقى كدولة حرة .

الباب الثانى

بداية الحرب الباردة

توهم أمريكا فى أثناء الحرب :

جاء فى أحد التقارير التى وضعتها المخابرات الامريكية فى خلال الحرب العالمية الثانية أن الاتحاد السوفييتى سيصبح الدولة المسيطرة فى اوروبا بعد انتهاء الحرب وسحق المانيا النازية ، وان من الضرورى جدا تنمية ودعم علاقات الصداقة معه الى ابعد مدى. ويبدو ان واضعى السياسة الامريكية لم يدركوا ان احلال الاتحاد السوفييتى مكان المانيا النازية ، كدولة مسيطرة فى اوروبا ، يشكل تهديدا خطيرا لميزان القوى فى أوروبا وفى العالم كله . بل يبدو ان الولايات المتحدة لم تستفد بعد من دروس التاريخ بحيث تدرك الآثار التى تتعرض لها سلامة أمريكا نتيجة لسيطرة احدى الدول على اوروبا . فالرئيس روزفلت ، رئيس الولايات المتحدة فى ذلك الوقت ، لم يكن يهدف هو وحكومته الى اعادة توازن القوى فى أوروبا من اجل تأمين الولايات المتحدة ؛ ولكنهما كانا يتوقعان امكان تحقيق هذا الامن عن طريق حسن النية المتبادل بين امريكا وروسيا ، ودون ان يعزز ذلك أى اعتبار من اعتبارات القوة . وان الاعتماد على مجرد حسن النية والاحترام المتبادل جاء دليلا على الغباوة وربما ادى الى الهلاك .

والواقع ان التفكير اليوتوبى - المجرد من أى شعور بالشك — وهو التفكير الذى اتصفت به امريكا خلال فترة الحرب — هو الذى دفعها لان تتوقع مجيء فترة يسود فيها الشعور الطيب المتبادل بين الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة عقب الحرب العالمية الثانية . فقد كانت امريكا تعتقد أن الحرب تعد بمثابة قطع لحالة الانسجام الطبيعية بين الدول ، وان القوة العسكرية هى اداة لمعاقبة المعتدى او مجرمى الحرب ، وأن الذين تعاونوا مع امريكا فى هذه الحرب ، الايديولوجية متساوون فى الايمان بالمثل الاخلاقية والتجرد من الانانية ، وأنه بعد ان تنتهى الحرب سيعود الانسجام من جديد بين الدول وينتهى الصراع من اجل السيطرة . ومن هنا يتضح لنا مدى التورط الذى وقعت فيه أمريكا ، فهى على هذا الاساس لاترى اية ضرورة لاتخاذ اية خطوات تتسم بالحذر ضد حلفائها الذين اشتركوا معها فى الحرب على امل أن تؤدى الملاقات الودية والاحترام المتبادل — وهو مايعتقد الزعماء الامريكيون انه قد ساء فى خلال فترة الحرب — الى المحافظة على وحدة الاهداف وضمان استمرار السلام .

وعلى الرغم من تلك التوقعات المتفائلة لما ستكون عليه العلاقات الامريكية السوفييتية فان من الضرورى ان نشرح الدلائل المتزايدة على مايكنه الاتحاد السوفييتى من شعور بالعداوة والشك تجاه الغرب . فقد كان الاتحاد السوفييتى يشك فى النوايا المنحرفة لامريكا وبريطانيا فى خلال فترة الحرب ، ذلك لان الغرب اخذ يتلكأ فى فتح جبهة ثانية ويؤجل القيام بذلك من عام ١٩٤٢ حتى عام ١٩٤٤ ، مما جعل « ستالين » يشعر بالمرارة وبخاصة حينما أعلن تشرشل ، رئيس الوزارة البريطانية فى ذلك الوقت ، أن الغرب لن يقوم بعملية غزو الا بعد ان يضعف الالمان كثيرا بصورة تحول دون وقوع الكثير من الضحايا ، ولم يكن هذا بالرد الكافى الذى

يقنع « ستالين » لان الروس قدموا الكثير من الضحايا فى خلال الحرب . وكانت وجهة نظر الشيوعيين ان امريكا وبريطانيا تؤجلان فتح جبهة ثانية الى ان تضعف كل من المانيا والاتحاد السوفييتى ، وبعد ذلك تزحف الدولتان على المانيا دون اراقة دماء وتفرضان السلم على المانيا وروسيا ، وبذلك تتمكن الدولتان الراسماليتان من تدمير خصميهما المذهبيين فى وقت واحد .

ومن الاسباب الرئيسية التى ادت لاستمرار شعور العداوة لدى الاتحاد السوفييتى ، المحاولات التى يذلها الغرب لشل الاتحاد السوفييتى وتدميره ، بالاضافة الى المحاولات التى استهدفت تحويل اتجاه التهديد الهتلرى الذى يتعرض له الغرب وتوجيه هذا التهديد نحو روسيا . ولكى يتمكن الغرب من ازالة شعور العداوة والكراهية لدى الاتحاد السوفييتى . كان عليه ان يثبت صداقته ونواياه الطيبة . ويبدو ان السياسة التى اتبعها الاتحاد السوفييتى والاجراءات التى اتخذها فى اثناء الحرب تؤكد انه اذا ما اظهرت دول الغرب صداقتها تجاه الروس فانها تستطيع أن تكسب صداقتهم . ومن بين تلك الاجراءات . البيانات التى اصدرها السوفييت فى خلال الحرب ودعوا فيها الى السلام والديمقراطية والحرية بالاسلوب الذى استخدمه الغرب فى بياناته ، وكذلك امتداح السوفييت لبريطانيا والولايات المتحدة لانهما دولتان ديمقراطيتان .

ولقد اعتقد الرئيس الامريكى روزفلت ومستشاروه انهم استطاعوا أن يقيموا علاقات ودية مع الاتحاد السوفييتى فى مؤتمر يالتا عام ١٩٤٥ . فقد قدم ستالين عدة تنازلات فى هذا المؤتمر بشأن المسائل الحيوية ، كما وعد بتنازلات مزيد من حسن النية فى المستقبل . ومن بين هذه التنازلات تخلى السوفييت عن مطالبتهم بتخصيص ستةعشر مقعدا فى الأمم المتحدة للجمهوريات السوفييتية واكتفاؤهم

بثلاثة مقاعد فقط يحتلها الاتحاد السوفييتي واوكرانيا وروسيا البيضاء ، هذا ، بالاضافة الى التنازلات الاخرى المتعلقة بوضع الاحتلال فى المانيا والوضع فى اوربا الشرقية ، وكذلك موافقة الاتحاد السوفييتى على الدخول فى الحرب ضد الالمان .

وقد صرح آن ذاك هارى هوبكنز ، الذى كان يعد أوثق المستشارين اتصالا بالرئيس الامريكى ، بأن هذا « هو فجر اليوم الجديد الذى كنا ننتظره سنوات طويلة ، ومن المؤكد اننا حققنا بذلك اول نصر كبير للسلام ولكل الجنس البشرى المتحضر ، ولقد أثبت الروس انهم يلتزمون جانب التعقل كما انهم يتسمون ببعد النظر ، وليس لدينا اى شك فى اننا نستطيع أن نتمايش معهم سلميا فى المستقبل الى ابعد مدى يمكن لاى منا أن يتصوره » .

وكان من الطبيعى ان يتجسد هذا العهد الجديد ، عهد النوايا الطيبة ، داخل الامم المتحدة . ففى داخل هذه المنظمة الدولية تستطيع شعوب العالم أن تراقب زعماءها مراقبة فعالة بصوره تجعل من المحال على هؤلاء الزعماء الدخول فى مساومات شريرة أو عقد صفقات سرية يخونون فيها مصالح شعوبهم ويمزقون سلام العالم وحينئذ تختفى سياسة القوة الى الابد . ويتضح هذا من قول « كورديل هل » وزير خارجية أمريكا فى ذلك الوقت : « لن يكون هناك ضرورة بعد الآن لمناطق النفوذ أو للاحلاف او لتوازن القوى أو غير ذلك من الاجراءات التى كانت تلجأ اليها الامم فى الماضي التمس من أجل حماية امنها او تحقيق مصالحها » فبدلا من ذلك سيكون الاعتماد على المبادىء والصداقة .

وقد اكدت اللجنة الاستشارية الامريكية ، الخاصة بالسياسة الخارجية لفترة ما بعد الحرب ، افضلية المبادىء على سياسة القوة ، وقالت ان الامن الدولى هو الهدف الرئيسي للولايات المتحدة،

ولكن هذا الامن يجب أن يتحقق فى نطاق مبادىء العدالة ليكون أمنا فعليا يستطيع أن يستمر طويلا .

ثم قالت اللجنة : أن المصالح الحيوية للولايات المتحدة هى فى اتباع دبلوماسية المبادىء .

التوسع السوفييتى بعد الحرب

كانت أمريكا تحلم بامكان تحقيق السلام بعد الحرب وايجاد تعاون بين الدول الكبرى . ولكن هذه الاحلام اخذت تذروها الرياح . فقد راح الاتحاد السوفييتى يتوسع داخل شرقى ووسط أوربا ويفرض سيطرته على بولندة والمجر وبلغاريا ورومانيا وألبانيا ، وكانت يوغوسلافيا وتشيكوسلوفاكيا واقمتين فعلا تحت السيطرة الشيوعية . واحتفظ الروس بقوات سوفييتية فى كل من هذه الدول وانشئوا فيها حكومات موالية للاتحاد السوفييتى اعطيت المناصب الرئيسية فيها للشيوعيين .

وقد اتضح من هذا ان نصوص « اعلان يالطا » الذى التزم الروس فيه اجراء انتخابات حرة وانشاء حكومات ديمقراطية فى اوربا الشرقية كانت تعنى لدى الروس خلاف ما تعنيه لدى الامريكيين فالحكومات الديمقراطية كانت تعنى لدى الروس الحكومات الشيوعية ، والانتخابات الحرة تعنى لديهم الانتخابات التى تستبعد منها الأحزاب التى لا يرضي عنها الشيوعيون . وشدد الروس سيطرتهم على دول البلقان وبولندا وامتد النفوذ السوفييتى الى سواحل بحر ايجه ومضايق القسطنطينية وبحر الأدرياتيك .

وكانت اليونان وتركيا وايران فى مقدمة الدول التى شعرت بخطورة الضغط التوسعى السوفييتى ، وقد حاول السوفييت فى الفترة التى بين انتهاء الحرب وأوائل عام ١٩٤٧ . التغلغل على

نطاق واسع داخل الشرق الاوسط . ذلك لان الدولة التى تسيطر على الشرق الاوسط تصبح فى وضع ممتاز يمكنها من التوسع داخل الشمال الافريقى وجنوب آسيا كما انها تسيطر على « جزيرة العالم » .

وقد بدا الضغط السوفييتى على ايران فى اوائل عام ١٩٤٦ حينما رفض السوفييت سحب قواتهم من هذا البلد ، تنفيذا لمعاهدة التحالف الثلاثية التى وقعتها ايران وبريطانيا وروسيا عام ١٩٤٢ والتى تقضي بانسحاب جميع القوات الاجنبية من ايران فى فترة اقصاها ستة أشهر بعد توقف القتال . بل لقد أخذ السوفييت يعززون وضعهم فى ايران ويرسلون اليها المزيد من القوات والدبابات ، وراحوا يطالبون بمزايا تعدينية وبترولية فى المناطق الشمالية بايران ويعرضون على الحكومة الايرانية استعدادهم لتزويدها بالخبراء ، فلما رفضت ايران هذه المطالب دبر السوفييت الثورة التى قام بها حزب « توده » الشيوعى الايرانى فى المناطق الشمالية فى نوفمبر عام ١٩٤٥ ، واستطاع هذا الحزب ، بمساعدة السوفييت ، ان يقيم حكومة فى منطقة اذربيجان الايرانية الشمالية ، وكان هدف السوفييت من كل هذا هو الضغط على ايران لتحويلها الى دولة تابعة للاتحاد السوفييتى .

وفى خلال هذه الفترة أخذت روسيا تضغط على تركيا ، ففى يونيو عام ١٩٤٥ طالب الاتحاد السوفييتى فجأة بفصل عدة أقاليم تركية تقع على الحدود التركية السوفييتية واعادة النظر فى معاهدة منترو الخاصة بمضيق الدردنيل على أساس انشاء ادارة سوفييتية تركية مشتركة لهذه المضايق ، وان تقطع تركيا الروابط القائمة بينها وبين بريطانيا ، وان توقع معاهدة مع الاتحاد السوفييتى شبيهة بالمعاهدة التى وقعها السوفييت مع دول البلقان التابعة له . وكان

الهدف من كل هذا تحويل تركيا الى دولة تسير فى فلك الاتحاد السوفييتى .

وفى اليونان ايضا حاول الشيوعيون الاستيلاء على العاصمة « اثينا » بعد انسحاب الالمان منها ونزول القوات البريطانية فوق الاراضي اليونانية . ولكن محاولتهم فشلت .

وكانت الحالة الداخلية فى اليونان متدهورة فى ذلك الوقت بفعل الازمة الاقتصادية والدمار الذى خلفته الحرب ، كما ان اضطرار الحكومةللاحتفاظ بجيش قوامه مائة الفجندى لحمايةالبلاد من الدول الشيوعية ــ المجاورة دفع بالبلاد الى حالة تقرب من الافلاس . وفى تلك الظروف اتخذ الضغط الشيوعى على الحكومة اليونانية شكل حرب عصابات واسعة النطاق بدات فى خريف عام ١٩٤٦ وراحت الدول الشيوعية المجاورة تزود رجال العصابات بالامدادات .

وفى كل هذه المواقف كانت الحكومة الامريكية تجد نفسها ، فجاة مضطرة الى العمل الى جانب بريطانيا ومساعدتها . فبالنسبة لايران سلمت امريكا وبريطانيا الى الاتحاد السوفييتى مذكرتين هددتا فيهما باستخدام القوة دفاعا عن ايران . مما جعل الجيش السوفييتى يعلن انه سينسحب فى خلال خمسة اسابيع او ستة . وفيما يتعلق بتركيا رفضت امريكا المذكرة السوفييتية الخاصة بمضيق الدردنيل وارسلت قوة بحرية امريكية الى البحر الابيض المتوسط ، كما رفضت بريطانيا المذكرة التى تلقتها من الاتحاد السوفييتى بشأن تركيا . اما بالنسبة للموقف فى اليونان فلم يكن الامر يتطلب التدخل العاجل من جانب امريكا . ويجب ان نشير هنا الى ان الاجراءات التى اتخذتها الحكومة الامريكية بصدد ايران وتركيا كانت مجرد ردود افعال سريعة فى مواجهة الازمات الملحة

وليست جزءا من استراتيجية أمريكية شاملة ومترابطة . اذ ان مثل هذه الاستراتيجية لاتوضع الا اذا قامت أمريكا باعادة تقويم السياسة الخارجية السوفييتية من جديد .

استراتيجية « كبح انجماح »

مرت ثمانية عشر شهرا — منذ استسلام اليابان فى ٢ من سبتمبر عام ١٩٤٥ حتى اعلان مبدأ ترومان فى ١٢ من مارس عام ١٩٤٧ — قبل أن تبدأ الولايات المتحدة فى اعادة تقويم السياسة الخارجية السوفييتية ، فقد كان من الصعب جدا أن نتوقع من الشعب الامريكى ان يتحول فجأة من اتباع مسلك الصداقة . تجاه الاتحاد السوفييتى الى اتباع مسلك العداوة نحوه . كما أن الولايات المتحدة كانت لديها رغبة شديدة فى السلام والعودة للانشغال من جديد بشئونها الداخلية ، وقد اخذ الشعب يطالب بتسريح القوات مما جعل الحكومة تخفض من عدد القوات المسلحة الى مستويات ضعيفة . ففى مايو عام ١٩٤٥ ، اى بعد هزيمة المانيا ، كان الجيش الامريكى فى أوربا ثلاثة ملايين وخمسمائة الف جندى ، وبعد مضى عشرة اشهر فقط لم يتبق للولايات المتحدة فى أوربا سوى اربعمائة الف جندى.كما قرر مجلس النواب الامريكى خفض نفقات الحكومة ليمكن خفض ضريبة الدخل بنسبة ٢٠ فى المائة . وقد ادى قيام أمريكا بنزع السلاح من جانبها وحدها الى تشجيع السوفييت على المضى فى اتباع أسلوب العناد فى أوربا ، كما ادى ذلك الى زيادة الضغط السوفييتى فى جنوب شرقى آسيا والشرق الاوسط .

وكانت هناك ثلاثة اتجاهات واضحة خلال هذه الفترة :

الاتجاه الاول : كان متطرفا ويمثله وستون تشرشل ، فبعد

انتهاء الحرب فى أوربا نصح تشرشل بعدم انسحاب القوات الامريكية من اوربا وأصر على ضرورة بقائها الى جانب القوات البريطانية لاجبار الاتحاد السوفيتى على تنفيذ ما التزم به فى مؤتمر يالتا بشأن اجراء انتخابات حرة فى أوروبا الشرقية وانسحاب الجيش الاحمر من المانيا الشرقية . واكد تشرشل ان الاتحاد السوفييتى دولة توسعية ، واكد خطورة النفوذ والسيطرة السوفييتيين على وسط وشرقى اوربا . وقال : ان الحرب الباردة قد بدات وان على الامريكيين ان يتخلوا عن احلامهم فى امكان تحقيق التعاون بين الدول الكبرى الثلاث داخل الامم المتحدة ، وأن من الضرورى قيام تحالف بين الدول الناطقة بالانجليزية من اجل صيانة امن امريكا وبريطانيا والمحافظة على السلام العالمى . وقد رفضت الولايات المتحدة آراء تشرشل هذه .

والاتجاه الثانى ، هو متطرف أيضا ، ويمثله هنرى والاس ، وزير التجارة الامريكى فى ذلك الوقت ، فقد كان « والاس » يشعر بأن المسلك العدوانى ، الذى عبر عنه تشرشل ، هو المسئول عن الموقف العدوانى الذى اتخذه الاتحاد السوفييتى وقال انه لا شأن للولايات المتحدة وبريطانيا بأوربا الشرقية الا بقدر ما للاتحاد السوفييتى من شأن بأمريكا اللاتينية ، وأن تدخل الغرب فى شئون الدول المتاخمة لروسيا من شأنه ان يثير شكوك السوفييت وذلك كما يحدث حينما يتدخل السوفييت فى شئون الدول المجاورة للولايات المتحدة ، ذلك لان اوربا الشرقية تعد حيوية بالنسبة لأمن الاتحاد السوفييتى ، وكذلك تعتبر امريكا اللاتينية حيوية بالنسبة لامن الولايات المتحدة .

وقال « والاس » ان السوفييت سيحاولون ، سواء اردنا او لم نرد ، « بلشفة » منطقة نفوذهم ، مثلما نحاول نحن نشر النظام الديمقراطى فى منطقة نفوذنا .

واضاف قائلا : انه كلمـــا تشدد الغرب فى موقفه تشـــدد السوفييت فى موقفهم ، وان الثقة المتبادلة تتيـــح للولايات المتحدة وروسيا فرصة العيش معا فى سلام .

أما الاتجاه الثالث ، وتمثله الحـــكومة الامريكية والشعب الامريكى ، فقد كان مذبذبا بين هذين الاتجاهين . فقـــد ادركت الحكومة أن عهد التعاون بين الدول الكبرى الثلاث قد انتهى ، وانه لم تعد هناك حاجة لأن تظهر الولايات المتحدة حسن نواياها تجاه الاتحاد السوفييتى من أجل التغلب على شكوك السوفييت . وقد حاولت أمريكا فى الماضي أن تكســب ود روميا بالتزام الصـداقة نحوها ، وانه جاء الآن دور الزعماء السوفييت لاتخاذ مسلك ودى مماثل تجاه الولايات المتحدة . كمـــا أن الاتفاقيات المكتوبة لم تعد بمثابة دليل على قيام الصداقة بين الجانبين .

وقد وصف « جيمس بايرنز » وزير خارجيـــة امريكا فى ذلك الوقت ، هذا الاتجاه الجديد من جانب أمريكا بأنه بمثابة « السياسة القائمة على الحزم والصبر » . وكان هذا يعنى ان الولايات المتحدة سوف تتخذ موقفا حازما حينما يلجأ الاتحاد السوفييتى الى العناد . وانها لن ترضى بالحلول الوسط لمجرد التوصل الى اتفاق سريع . وباختصار : ان موقف أمريكا الحازم سوفيجبر الروس على التزام جانب التعقل . الا انه لم يخطر ببال صانعى السياسة الامريكية ان عدم التعقل ، الذى التزمه الروس حيال عدد من المســائل ، ربما يكون قد نبع من طبيعة النظام الشيوعى نفسه . كما انهم لم يوافقوا على راى تشرشل القائل بأن الحكومة السوفييتية تكن عداء مذهبيا تجاه الغرب ، وانها ســتستمر فى التوسع حتى يتم لهـــا تدمير الراسمالية .

ولما بلغت الأزمة اليونانية ذروتهـــا فى اوائل عام ١٩٤٧ بدا

صانعوا السياسة الامريكية يعترفون ، بسرعة مطـــردة بالطبيعة الثورية التى يتسم بها نظام الحكم السوفييتى . وكان واضحا أن الولايات المتحدة سوف تغير من سياستها تجـــاه السوفييت . وقد وضع جورج كينان ، الخبير الامريكى المشهور فى الشئون السوفييتية، تحليلا يمكن ان يوصف بأنه اساس لسياسة امريكية جديدة . وبدأ كينان تحليله بشرح مفصل للنظرة الشيوعية تجاه الشئون الدولية ، فالزعماء السوفييت ينظرون الى الدول الغربية نظرة عداوة فطرية، وقد علمهم المذهب الشيوعى أن العالم الخارجى عدو لهم ، وان من واجبهـم ان يعملوا على قلب القوى السيـــــاسية الواقعة وراء حدودهم . وقال كينان ان هذه العداوة من جانب السوفييت ستظل قائمة بصفة مستمرة ، وأن هذه العداوة ينبع منها الكثير من مظاهر السياسة الخارجية الســـــوفييتية ، مثل السرية وعدم الصراحة والازدواج والتشكك .

ومضى كينان يقول : أن عداء السوفييت للغرب لايعنى انهم سوف ينفذون برنامج حياة أو موت لقلب النظام الرأســـمالى فى موعد محدد ، ذلك لان تعليمات « لينين » نفسها تقضى باتباع الحذر الشديد والمرونة فى تحقيق الأهداف التى يسعى اليها السوفييت ، فاذا ماصادف السوفييت عقبات لايمكنهم التغلب عليها فان عليهم ان يتقبلوها فلسفيا ، ويكيفوا انفسهم معها ، وان يواصـــلوا ممارسة الضغط المستمر المتزايد من أجل الوصول الى الهدف المقصود .

فما السياسة المضادة التى يمكن للولايات المتحدة اتباعها فى مواجهة السياسة الســـوفييتية التى تبحث دائما عن نقط الضعف وتحاول ملء الفراغات التى لاتشغلها اية قوى ؟ يرد كينان على هذا السؤال فيقول : انه يجب أن تكون السياسـة الامريكية بعيدة المدى ، وان تتسم بالصبر والحزم واليقظة فى اتباع أسلوب كبح الجماح ضد السوفييت . فالدبلوماسية السوفييتية سهلة من حيث المظهر ،

ولكنها صعبة فى التعامل معهـا . فالسياسة السـوفييتية تبدى استعدادا للاسـتسلام فى بعض قطاعات الجبهة الدبلوماسية اذا ما اتضح ان القوى المعاكسة لها قوية جدا واكثر تعقلا فى منطقتها . ومن ناحية اخرى نجـد انه ليس من السـهل الحاق الهزيمـة بالدبلوماسية السوفييتية وذلك بسبب الاصرار والصـبر اللذين تتميز بهما هذه الدبلوماسية ، ولهذا فانه يسـتحيل التغلب على الدبلوماسية السوفييتية الا بسياسة بعيدة المدى يضعها خصـوم روسيا .

وقد بنى كينان نظريته هذه على أساس أن اجراءات القمع والضغط المتبعة فى المجتمعات الاستبدادية تزيد من الشعور بالفشل والخيبة فى الداخل ، ولا يمكن تصريف هذا الاحساس الا عن طريق اتباع سياسة خارجية عدوانية . والعلاج الذى يوصى كينان باتباعه هو العمل على صد التوسع السـوفييتى فيؤدى ذلك الى زيادة التوتر داخل روسيا بصورة خطيرة ينتج عنهـا اما تدمير النظام السوفييتى او اجبار الزعماء السوفييت على العمل من اجل تخفيف حدة الشعور بعدم الرضاء فى الداخـل . وبافتراض ان الزعماء السوفييت يرغبون فى الابقاء على سلطتهم وانهم سوف يضطرون بناء على ذلك ، الى اتباع الطريق الثانى — وهو العمل على تخفيف حدة الشعور بعدم الرضاء فى الداخل — فلن يكون امامهم سوى اتباع سياسة خارجية معتدلة ، لأن تخفيف حدة التوتر الدولى سوف يمكنهـم من مواجهة مشـكلاتهم الداخلية ، وبذلك لن يكون امام الكرملين الا أن يتخلى عن اهدافه الثورية وعقد ميثـاق تعايش سلمى مع الدول الغربية ، ومع الولايات المتحدة بالذات .

مبدأ ترومان :

فى ٢١ من فبراير عام ١٩٤٧ سلمت بريطانيا للحكومة الامريكية مذكرتين احداهما تتعلق باليونان والاخرى تتعلق بتركيا . واوضحت بريطانيا فى المذكرتين انها لم تعد تستطيع تحمل مسئولياتها التقليدية فى هذين البلدين ، لان كلا منهما على وشك الانهيار بفعل التهديد السوفييتى ، وانه لن يمكن وقف التغلغل السوفييتى فى المنطقة الا بالتزام امريكا بالتدخل وتحمل مسئولياتها كدولة كبرى . والواقع أن مقدرة بريطانيا على المحافظة على ميزان القوى فى أوربا اخذت تتضاءل فى القرن العشرين . وبقاء ميزان القوى هو الذى كفل الحماية لامريكا ذاتها فترة طويلة من الوقت ، اما الآن فان على الولايات المتحدة ان تتحمل مسئولية حماية نفسها بنفسها .

والازمة التى واجهت أمريكا فجأة تركزت فى شرقى البحر الابيض المتوسط ، فقد أخذ السوفييت يسعون لابتلاع ايران وتركيا عن طريق تحويل اهتمامهم الى اليونان . فاذا ما حدث ان سقطت اليونان فى ايدى السوفييت فان مسألة وقوع ايران وتركيا تحت السيطرة السوفييتية ستصبح مسألة وقت . كما ان سقوط اليونان سيحدث ضغطا قويا على جارتها ايطاليا ، التى فيها أكبر حزب شيوعى فى أوربا الغربية ومن ثم تتعرض أوربا الغربية كلها للخطر . الا ان الخطر الملح كان يتركز ، مع ذلك ، فى شرقى البحر الابيض المتوسط ، وكانت رغبة الاتحاد السوفييتى فى السيطرة على المنطقة تتمثل فى مطالبة الروس بمنح تريستا ليوغوسلافيا ، ووضع طرابلس الغرب وارتريا تحت الوصاية السوفييتية .

وكان على الولايات المتحدة ان تقوم بعمل ما ، قبل انهيار الجناح الأوربى فى شرقى البحر الابيض المتوسط وسيطرة الشيوعيين على الشرق الاوسط وتغلغل السوفييت فى جنوب آسيا

وشمالى افريقية . وباختصار ، ان سلامة امريكا نفسها هى التى كانت معرضة للخطر فى داخل اليونان .

وفى الثانى عشر من مارس عام ١٩٤٧ القى هارى ترومان ، الرئيس الامريكى فى ذلك الوقت ، خطابا امام الكونجرس شرح فيه الموقف فى اليونان واعمال التخريب وبث الاضطراب السياسى التى يمارسها الشيوعيون فى المنطقة ، بالاضافة الى حرب العصابات فى شمالى اليونان والازمة الاقتصادية الخانقة التى واجهت اليونان واخذ الشيوعيون يستغلونها .

ثم قدم ترومان الى اعضاء الكونجرس المبدأ الذى عرف باسمه ، وقال فيه ان الولايات المتحدة لا يمكنها أن تحافظ على كيانها الا فى عالم تزدهر فيه الحرية ، وأن هذا الهدف لا يتحقق الا اذا كانت الولايات المتحدة على استعداد لمساعدة الشعوب الحرة فى مواجهة الحركات العدوانية التى تستهدف فرض نظم حكم استبدادية على هذه الشعوب . وقال ان هذه المساعدة يجب أن تكون اساسا فى صورة معونة اقتصادية ومالية من اجل تحقيق الاستقرار الاقتصادى ، ومن ثم الاستقرار السياسى فى تلك الدول . وطالب ترومان باعتماد مبلغ اربعمائة مليون دولار لتقديم معونات اقتصادية وامدادات عسكرية لليونان وتركيا .

وهكذا اصبحت امريكا آخر الامر عضوا عاملا فى المحيط الدولى بعد ان ادركت ان فرض النظم الاستبدادية على الشعوب الحرة من شأنه أن يقوض دعائم السلام الدولى ويقضى من ثم على امن ورخاء الولايات المتحدة ذاتها .

الباب الثالث

سياسة كبح الجماح فى أوربا

مشروع مارشال :

لم يكن التزام الولايات المتحده بمساعدة اليونان وتركيا الا بمثابة اجراء اولى تتخذه امريكا بمقتضى سياستها الجديدة الخاصة بوقف التوسع السوفييتى . فقد كانت الازمةالحقيقية ماثلة فى داخل اوربا . فبريطانيا على وشك الانهيار بسبب الازمة الاقتصادية . فهى — باعتبارها جزيرة تعتمد فى معيشتها ، بل فى بقائها ، على التجارة الدولية — اما ان تستورد او تموت ، ذلك لأن الثورة الصناعية التى مرت بها جعلت العاملين فى الزراعة تقل نسبتهم بالنسبة لمجموع السكان عن خمسة فى المائة . وكانت بريطانيا قبل عام ١٩٣٩ تدفع قيمة ما تستورده ، من اغذية ومواد خام ، من الايرادات التى تحصل عليها من الملاحة واستثمار رءوس اموالها فى فى الخارج والمصنوعات التى تصدرها للدول الاجنبية ، الا ان الحرب ادت الى شل اسطولها التجارى وتصفية اغلب استثماراتها فى الخارج وتدمير عدد كبير من مصانعها .

وحين حلول شهر ديسمبر عام ١٩٤٦ لم تكن بريطانيا قد حققت الا المستوى الانتاجى الذى كانت عليه قبل الحرب ، وذلك على الرغم من القرض الذى حصلت عليه من امريكا ، واتباعها

برنامج تقشف تضمن صرف الخبز بالبطاقات . ولما اجتاحت أوربا موجة الصقيع القارسة في شتاء عام ١٩٤٦ ــ ١٩٤٧ تعطل أكثر من نصف مصانع بريطانيا وتوقفت حركة الملاحة البحرية والمواصلات الداخلية .

ثم جاءت الفيضانات مع بدء ذوبان الثلوج لتزويد الامر سوء وبلغ عدد المتعطلين في بريطانيا في ذلك الوقت عدة ملايين .

كما توقفت حركة الصادرات توقفا تاما . وباختصار ، كانت بريطانيا في حالة من السوء لم تكن لتبلغ أسوأ منها الا اذا كانت قد خسرت الحرب .

أما بالنسبة لالمانيا ، فقد كانت حالتهـــا بعد الحرب مروعة ، اذ كادت تتحول كلها الى كومة من الأحجار المنهارة ، واخذ الالمان ، الذين نجوا ، يحتمون خلف هذه الاطلال .

ومما زاد الأمر سوءا ان عشرة ملايين مواطن المانى نزحوا الى هناك بعد أن هاجروا من الاراضى الالمانية التى استولت عليها بولندا .

وكانت صورة المانيا فى ذلك الوقت توضـــــح ادنى درجات الانهيار السياسي والاقتصادى والاجتماعى والخلقى . وأخذ الجوع والبرد يدفعان الفتيان الى السرقة ويغريان الفتيات ببيع اجسادهن أو يتعرضن للموت جوعا . وقد تفشت البطالة وانخفض مستوى الأجور انخفاضا مروعا حتى أن الاجر الشهرى للعامل الذى كان يعمل فى رغم الانقاض لم يكن يزيد على قيمة علبة من السجائر

وفى خلال فترة الصقيع التى اجتاحت أوربا فى شـــتاء عام ١٩٤٦ ــ ١٩٤٧ اغلقت ثلاثة ارباع المصـــــانع الالمانية ابوابها ، وانخفض مستوى الانتاج فى فبراير عام ١٩٤٧ ليصبح ٢٩ فى المائة

فقط بالنسبة لما كان عليه الانتاج فى المانيا عام ١٩٣٦ . كما ان النقص الخطير فى كميات الفحم المستخرجة من المناجم جعل من المحال لصناعة الصلب ان تقف على قدميها من جديد ، ومن ثم تعطلت الصناعات الهندسية اللازمة لاعادة تعمير البلاد ، لاعتماد هذه الصناعات على الصلب .

ولم يكن الحلفاء يبدون اهتماما كبيرا فى ذلك الوقت باقالة المانيا من عثرتها لانهم كانوا مشغولين بالعمل على نزع سلاح المانيا ووقف كل الصناعات التى يمكن ان تستخدم فى انتاج المواد العسكرية .

كما لم يكن الحلفاء يبدون أى اهتمام خاص نجاه الشعب الالمانى الذى شردته لان نكريات الفظائع التى ارتكبها النازيون ظلت ماثلة للاذهان .

وبالنسبة لفرنسا دمرت الحرب اقتصادياتها الى حد كبير ، ولكنها بدات تستعيد نشاطها الاقتصادى فى أواخر عام ١٩٤٦ ، ومع ذلك فان انتاجها من الحديد والصلب لم يكن يعادل فى ذلك الوقت الا نصف ما كانت تنتجه قبل الحرب ؛ وذلك بسبب النقص الشديد فى الفحم . ومن ثم لم تكن الصناعات تقدم انتاجا يكفى للتصدير الى الخارج من أجل استيراد الاغذية التى تحتاجها البلاد ، مما اضطر الحكومة الى انفاق كميات الدولارات القليلة التى لديها — والتى تحتاجها فى عمليات اعادة تعمير البلاد — فى شراء الاغذية من الخارج .

وادت موجة الصقيع التى اجتاحت أوربا فى ذلك الوقت الى ازدياد الحال سواء ، فقد اتلف الصقيع مساحة تتردد بين ثلاثة واربعة ملايين فدان من القمح .

وقد استفاد الحزب الشيوعى الفرنسى من هذه الاوضاع

واستطاع ان يكسب الى جانبه تأييد نحو ربع مجموع الناخبين فى فرنسا ، وأغلبهم من العمال الذين شعروا بوطأة الاستغلال فى النظام الراسمالى ورأوا أن من الضرورى القضاء على هذا النظام من أجل تحسين مستوى معيشتهم .

كما سيطر الحزب على الاتحاد العام للعمل الذى كان يضم ٨٠ فى المائة من مجموع العمال بعد الحرب ، وبذلك أصبح مركز الحزب الشيوعى الفرنسى قويا من الناحيتين السياسية والنقابية.

ولما ازداد التوتر فى العلاقات بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى عام ١٩٤٧ اخذ الحزب الشيوعى الفرنسى يستغل مركزه القوى فى التحريض على الاضطرابات من أجل شل اقتصاديات فرنسا وجعلها تركع على ركبتيها .

وهكذا أصبحت أوربا ، وهى تواجه الانهيار : مضطرة الى الاعتماد على امريكا فى الحصول على كل مايلزمها من مواد لاعادة بناء نفسها مثل القمح والقطن والآلات والفحم . الا أن الدول الاوربية لم تكن فى وضع يمكنها من الحصول على قدر كاف من الدولارات لشراء ما يلزمها ، كما ان الولايات المتحدة كان لديها كل ما يلزمها ولم تكن فى حاجة للاستيراد من الخارج الا فى نطاق ضيق . وهكذا واجهت أوربا عجزا فى الدولارات .

وقد اوجد انهيار أوربا على هذه الصورة مسألة جوهرية امام امريكا وهى : هل تعد اوربا حيوية بالنسبة لسلامة أمريكا ؟ وكان الرد الذى لاشك فيه هو أن استقلال أمريكا وسلامتها يتطلبان منها العمل على ايجاد ميزان للقوى فى داخل اوربا : من اجل الوقوف فى وجه اية دولة تسعى للسيطرة على الدول البحرية هناك تمهيدا لسيطرتها على العالم آخر الامر .

وقد كان الاسطول البريطانى هو الذى تحمل عبء المحافظة

على ميزان القوى فى أوروبا خلال الشطر الكبير من القرن التاسع عشر أما الان ، وقد اخذت قوة بريطانيا تضمحل بسرعة ، فانه يجب على الولايات المتحدة ان تتحمل العبء وحدها . وكان دور الولايات المتحدة نحو أوروبا هو دور الطبيب بالنسبة للمريض ، وقد رات امريكا ان علاج أوروبا هو فى حقنها بكميات هائلة من الدولارات ، وذلك بوضع برنامج واسع النطاق لتقديم المعونة الاقتصادية للدول الأوروبية فى صورة منح وليس على هيئة قروض ، لان اعطاء القروض لاوروبا كان من شانه ان يزيد من استفحال مشكلة الدولار فى أوروبا .

الا ان المعونة الامريكية كانت مشروطة بضرورة قيام تعاون اقتصادى بين الدول الاوروبية ذاتها . وقد دعا قانون التعاون الاقتصادى ، الذى صدر فى أمريكا عام ١٩٤٨ ، بصفة خاصة الى تحقيق التكامل الاقتصادى بين الدول الاوروبية .

ومن هنا أصبح التكامل بين دول اوروبا ، من وجهة النظر الرسمية الامريكية ، امرا ضروريا من أجل انعاش أوروبا من جديد، وتحقيق الرخاء لها فى المستقبل . ورأى صانعو السياسة الامريكية الذين يؤمنون بنظام الانتاج على نطاق واسع وبنفقات منخفضة ، ان انتعاش أوروبا يعتمد على انشاء سوق ضخمة فى أوروبا تذوب داخلها الحواجز الجمركية والقيود التى تفرضها الدول الاوروبية على التجارة فيما بينها ، وبمعنى آخر تحويل أوروبا الى « ولايات متحدة أوروبية » .

وقد دعا مارشال ، وزير خارجية أمريكا فى ذلك الوقت ، وصاحب مشروع التعاون الاقتصادى المعروف باسمه ، الدول الاوروبية الى أن تضع بنفسها خطة شاملة للانعاش الاقتصادى

تتحدد فيها الاحتياجات المشتركة لهذه الدول وأن تقدم هذه الخطة المشتركة للولايات المتحدة .

وعلى أساس هذا المشروع تم انشاء منظمة التعاون الاقتصادى الاوروبى من سبع عشرة دولة (بالاضافة الى منطقة تريست الانجليزية الامريكية) وتعهدت هذه الدول « بأن تتعاون فيما بينها ، ومع الدول الأخرى المتفقة معها ، فى التفكير على خفض الرسوم الجمركية والقيود الأخرى المفروضة على التجارة فيما بينها . »

والواقع كانت الدعوة للاشتراك فى هذا المشروع موجهة للدول الاوروبية كلها بما فى ذلك الاتحاد السوفييتى . الا أن الاتحاد السوفييتى رفض المشروع واعلن مولوتوف ، وزير خارجية الاتحاد السوفييتى ، ان المشروع يستهدف التدخل فى سيادة روسيا .

وكانت أمريكا ترمى من وراء اشتراك روسيا فى هذا المشروع أن تساهم روسيا فى استقرار الرأسمالية الاوروبية ، فاذا ما رفضت روسيا الاشتراك فى المشروع — وفضلت استغلال حالة البؤس فى أوروبا — فسوف تقع عليها مسئولية استمرار وازدياد حدة الحرب الباردة . ولن تخسر أمريكا شيئا فى كلتا الحالتين .

وقد حقق مشروع مارشال نجاحا كبيرا ، ففى عام ١٩٥٠ أصبح الانتاج فى أوروبا يزيد على معدل الانتاج قبل الحرب بمقدار ٢٥ فى المائة ، وبعد مضي عامين أصبحت نسبة الزيادة ٢٠٠ فى المائة . وتحسنت حركة التصدير البريطانية كما قلت نسبة التضخم الذى كانت تعانى منه فرنسا ، وبلغ الانتاج فى المانيا معدل الانتاج الذى كان عليه عام ١٩٣٦ . ومن ثم قلت كمية العجز فى الدولار الذى كانت تعانى منه اوروبا ، فأصبح العجز مليارين من الدولارات بعد ان كان ١٢ مليار دولار . الا ان المشروع فشل فشلا ذريعا فى عدة نواح ، فالرخاء الاقتصادى المطرد لم يكن موزعا توزيعا عادلا . وقد كان فى مقدمة اهداف مشروع مارشال كسب « الولاء

السياسي » من جانب أفراد الطبقة العاملة فى القارة الاوروبية وتحصينهم ضد مداهنات ومغريات الشيوعية . الا ان العمال فى فرنسا وايطاليا ظلوا ، مع ذلك يعطون اصواتهم للشيوعيين ، ويرجع ذلك ببساطة الى ان العمال ظلوا يعيشون فى فقر نسبى بالاضافة الى ارتفاع الاسعار فى حين كانت الفوائد الحقيقية للمشروع يتمتع بها ذوو الحظوة .

ومن ناحية اخرى كانت عملية الاندماج الاقتصادى تسير ببطء شديد جدا عما كانت تتوقعه أمريكا . اذ لم يكن من السهل ازالة الحواجز والتقسيمات وعادات العمل التى تشكلت على مدى القرون ، فى سنوات قلائل .

منظمة حلف شمال الاطلنطى :

بعد اعلان مشروع مارشال بفترة وجيزة اتضح ان هذا المشروع لن يكفى لوقف التوسع السوفيتى . فقد دبر السوفييت انقلابا فى براغ فى فبراير عام١٩٤٨واصبحت تشيكوسلوفاكيا داخل الستار الحديدى . وفى يونيو من العام نفسه فرض الروس حصارهم حول برلين لارغام الدول الغربية على مغادرة المدينة ، ومن هنا اتضح ان من الضرورى توفير الأمن لاوروبا عسكريا من اجل المضى فى اجراءات الانعاش الاوروبى . وكانت اوروبا قد خطت عدة خطوات فى هذا المجال . فقد وقعت بريطانيا وفرنسا معاهدة « دنكرك » فى مارس عام ١٩٤٧ لتأمين دفاعهما المشترك فى مواجهة اى عدوان يجىء من ناحية المانيا الشرقية . وفى مارس عام ١٩٤٨ تم التوقيع على معاهدة الدفاع الذاتى الجماعى فى بروكسل بين بريطانيا وفرنسا وهولنده ولكسمبورج وبلجيكا ، وتعهدت هذه الدول بانه فى حالة تعرض احدى دول المعاهدة للعدوان فان الاطراف الاخرى تهب لمساعدتها بكل ما تملك من مساعدة عسكرية او غير عسكرية .

وقد جذبت هذه المعاهدة انتباه أمريكا التى اتجهت لمنح تأييدها لدول المعاهدة . وأعلن ترومان أن هذه المعاهدة تعد خطـــوة هامة فى سبيل توحيد أوروبا ، كما اوصي الكونجرس بالموافقـــة على منح الدول الحرة المساعدة التى تطلبها ، وفى يونيو من العام نفسه وافق الكونجرس على توصية ترومان ، وجاءت هذه الموافقة بمثابة أساس لتحالف أمريكا مع الدول الاوروبية . وفتحت امريكا باب التفاوض مع مختلف الدول الاوروبية لانشاء حلف فى منطقة الاطلنطى .

وفى أبريل عام ١٩٤٩ تم التوقيع على معاهدة حلف شـــمال الاطلنطى بين بلجيكا وكندا والدنمرك وفرنسا وبريطانيا وايرلنده ولكســـمبورج وايطاليا وهولنده والنرويج والبرتغـــال والولايات المتحدة . واهم مادة فى اتفاقية الحلف هى المادة الخامسة التى تنص على أن الاطراف المشتركة فى الحلف توافق على ان أى هجوم مسلح تتعرض له احدى دول الحلف ، أو اكثر من دولة داخـــل الحلف فى أوروبا او امريكا ، فان هذا الهجوم سيعتبر هجوما ضد كل دول الحلف ، ومن ثم فان دول الحلف تهب منفردة أو مجتمعة لاتخاذ ما تراه من اجراءات ، بما فى ذلك استخدام القوة المسلحة ، لاعادة ودعم الامن فى منطقة حلف شمال الاطلنطى .

وفى عام ١٩٥١ انضـــمت تركيا واليونان الى الحلف الذى اصبح يمتد فى أوروبا من النرويج الى تركيا .

واذا كانت اتفاقية حلف الاطلنطى تعنى شيئا فهى انما تعنى ان أوروبا اصبحت خط الدفاع الاول بالنسبة للولايات المتحدة ، وان الولايات المتحدة قد تعهدت بالمحافظة على ميزان القـــوى فى أوروبا فى فترة السلم . واصبح الافتراض القائم هو ان خوف العدو من مواجهة المقاومة من جانب امريكا والدخول فى حـــرب شاملة مع الولايات المتحدة سوف يردعه عن شن اى هجوم . وقد

اعتمدت استراتيجية الردع هذه اكبر الاعتماد على القوة الجوية الاستراتيجية الامريكية ، المتمثلة فى القيادة الجوية الاستراتيجية ، اى انها اعتمدت على مدى مقدرة هذه القوة على تدمير الاتحاد السوفيتى تدميرا تاما بالقنابل الذرية . الا أن حدثين وقعا بعد ذلك وأديا الى تغيير سياسة الاعتماد على القوة الجوية الاستراتيجية وحدها . وهذان الحدثان هما قيام روسيا بتفجير أولى قنابلها الذرية فى اواخر عام ١٩٤٩ ، وهجوم كوريا الشمالية على كوريا الجنوبية فى يونيو عام ١٩٥٠ . وكان رد الغرب على ذلك وخاصة بالنسبة للهجوم الكورى ، هو العودة للتسلح على نطاق واسع .

وعين بعد ذلك الجنرال ايزنهاور قائدا اعلى للقوات المتحالفة فى اوروبا ، وبدأ الحلف يتبع استراتيجية جديدة عرفت باسم « استراتيجية الخطوط الامامية الدفاعية » اى انشاء خط دفاعى عند نهر الب (الذى يصب فى بحر الشمال) . وكانت الاستراتيجية الغربية تدعو قبل ذلك الى انسحاب قوات الحلفاء الى مواقع أكثر تحصينا ، أما الآن فلم يعد فى الامكان تراجع قوات الحلفاء ويجب الدفاع عن أوروبا عند أقصى الاطراف الشرقية لالمانيا الغربية بقدر المستطاع. الا أن هذه الاستراتيجية الجديدة — استراتيجية الخطوط الدفاعية الامامية — تتطلب عددا كبيرا من القوات وتوفير المأوى والمطعم والمعدات لها . وكانت أوروبا فى ذلك الوقت غير مستعدة عسكريا ، اذ كان كل اهتمامها موجها لاعادة تعمير نفسها ، كما كانت اوروبا معتمدة على القيادة الجوية الاستراتيجية الامريكية ؛ كقوة رادعة ، وذلك بسبب احتكار امريكا للذرة .

وفى مواجهة عجز أوروبا عن تزويد جيش الاطلنطى بقوات كافية للوقوف فى مواجهة الجيش الاحمر عند نهر الب ، اضطرت الولايات المتحدة لاعادة تسليح المانيا . الا ان اعادة تسليح المانيا

'كد ضرورة التركيز على استراتيجية الخطوط الدفاعية الامامية ؛ وبمعنى آخر وضع الخطط الكفيلة بالدفاع عن الحدود الشرقية الالمانية الغربية ، لان الالمان لن يوافقوا بسهولة على اعادة تسليحهم مالم يتيقنوا امكان وقف الجيش الاحمر عند نهر الب وعدم تعرض بلادهم لان تصبح ميدانا للحرب مرة أخرى .

انتعاش المانيا واعادة تسليحها :

بعد انتهاء الحرب وهزيمة المانيا عام ١٩٤٥ تم تقسيم المانيا ، فوضعت المانيا الشرقية فى أيدى السوفييت فى حين احتلت الدول الغربية المانيا الغربية ، وكانت دول الغرب أكثر حظا ، ففى الشطر الغربى من ألمانيا يقطن العدد الاكبر من السكان ، كما يوجد به قلب الصناعة الالمانية . وتم الاتفاق على أن تحصل روسيا وبريطانيا وفرنسا وعدد من الدول الاوروبية الصغيرة على تعويضات من المانيا بسبب ما لحق بهذه الدول من تدمير . وتقرر أن تكون حصة روسيا من التعويضات عبارة عن كل المعدات الصناعية فى المانيا الشرقية ، بالاضافة الى ربع المعدات الصناعية الموجودة فى المانيا الغربية ، كما تم الاتفاق على ان تتولى روسيا تزويد المانيا الغربية بالاغذية من ألمانيا الشرقية التى كانت بمثابة « سلة الخبز » بالنسبة لالمانيا كلها ، وذلك مقابل حصول روسيا على ثلاثة أخماس المعدات الموجودة فى المانيا الغربية ، وقد أسرع الروس بتفكيك المنشآت الصناعية فى المانيا الشرقية وأوقفوا النشاط الصناعى فى هذا القطاع ايقافا تاما ، كما امتنعوا عن تزويد المانيا الغربية بالاغذية ، خلافا لما اتفق عليه . وحينئذ اعلنت امريكا وقف التعويضات التى تقدم للاتحاد السوفييتى ، وبررت هذا العمل بأنه ما لم تحصل المانيا الغربية على حاجتها من الطعام من المانيا الشرقية فانها سوف تضطر الى زيادة صادراتها لتتمكن من استيراد الاغذية

من الخارج . ولكى تزيد من صـــــادراتها فان عليها ان تزيد من انتاجها . وهكذا تم نبذ الاتفاق الذى يقضي باضـــــعاف الانتاج الصناعى فى المانيا ، وكان هذا الاتفاق قد عقد بدافع الخوف من ان تستخدم المانيا صناعتها الثقيلة فى العودة الى تسليح نفسها من جديد . وبذلك تتمكن المانيا من سد حاجاتها بل تساهم ايضا بصناعتها فى انعاش اوروبا .

ورأت أمريكا فى ذلك الوقت تحميل المانيا الغربية مسئولية اولية لادارة شئونها بنفسها ، مع الابقاء على عدد محدود من القوات الغربية المتحالفة فى المانيا لتشرف على تنفيذ النظم الديمقراطية التى قرر الحلفاء لالمانيا ان تسير عليها . واعلن بايرنز ، وزير خارجية امريكا ، أن الحلفاء سيبقون فى المانيا للمساهمة فى حفظ الامن هناك ، وكان ذلك بمثابة تحذير للسوفييت . وعلى الرغم من ان روسيا اصبحت دولة قوية فى حين تحولت المانيا الى دولة من الدرجة الثانية مما يستبعد معه قيام المانيا بشن هجوم على روسيا ، فان مخاوف السوفييت ـ كما هو معتقد ـ دفعتهم الى فرض الحصار حول برلين فى ربيع عام ١٩٤٨ . وهناك تفسير آخر يقول : ان وقوف المانيا على قدميها وانتعاشها من جديد من شأنه ان يعوق تحقيق اهداف روسيا التوسعية ، ومن هنا راحت روسيا تجرب اسلوب القوة اعتقادا منها ان طرد الغرب بالقوة من برلين سوف يقوض ثقة الالمان فى قوة أمريكا ، كما انه اذا خضعت أمريكا أمام الضغط السوفيتى فان بريطانيا وفرنسا ربما تعيدان ايضا النظر فى موقفهما تجاه حلف الاطلنطى .

وحينئذ ادركت امريكا مدى أهمية برلين بالنسبة لسلامة الولايات المتحدة ذاتها . واعلن الجنرال كلاى ، القائد الامريكى فى المانيا ، انه اذا سقطت برلين فسوف يأتى الدور على المانيا ، وانه يجب على امريكا الا تتزحزح عن موقفها اذا أرادت حماية أوروبا من

الشيوعية . وقد تمكنت دول الغرب من تزويد برلين بالاغذية والمواد التموينية بالطائرات فى اثناء حصارها ، حتى فك السوفييت حصارهم فى مايو من العام نفسه .

التضامن الاوروبى

مما يدعو الى السخرية أن الخوف من قوة المانيا المطردة هو الذى يستحث الجهود الآن من أجل تحقيق التضامن بين الدول الاوروبية لايجاد نوع من الموازنة بين قوة هذه الدول وقوة المانيا . وقد ادى خوف فرنسا المستمر من فقدان توازن القوى بينها وبين المانيا الى جعل فرنسا تسعى لتحقيق نوع من الاندماج بين الدول الاوروبية يتمثل فى اتحاد تتخلى المانيا داخله عن جوانب معينة من سيادتها . واقترح روبرت شومان ، وزير خارجية فرنسا ، فى مايو عام ١٩٥٠ انشاء اتحاد اوروبى للفحم والصلب من ست دول هى : فرنسا والمانيا وايطاليا ودول البنيلوكس الثلاث(بلجيكا وهولنده ولكسمبورج) . ويقضي هذا المشروع باندماج الصناعتين الفرنسية والالمانية بحيث لاتستطيع المانيا استخدام صناعتها فى الاغراض العسكرية ، وفى مثل هذه الظروف تصبح الحرب بين المانيا وفرنسا مستحيلة ، ولم يكن المشروع الفرنسي يهدف فقط الى السيطرة على قوة المانيا وجعل فرنسا فى وضع مساو لوضع المانيا من حيث القوة ، وانما كان الهدف الثالث هو انشاء « اوروبا متحدة » تحت زعامة فرنسا ، على ان تكون وحدة فرنسا والمانيا قاعدة لاوروبا المتحدة . ومما زاد من اندفاع فرنسا فى هذا الاتجاه شعورها بضعفها حتى وهى داخل التحالف الغربى ، وبأنها تتحول الى مجرد دولة خاضعة وتابعة للولايات المتحدة التى تسبغ عليها حمايتها ، دون ان يكون لفرنسا اى تأثير فى اصدار القرارات فى المسائل الكبرى المتعلقة بالسياسة الغربية ، او أن يكون لها تاثير على المسرح الدولى .

ويقضي مشروع شومان ايضا بازالة جميع الحواجز التجارية بين الدول الست فى قطاع الفحم والصلب ، وهذا من شـــأنه أن يطور المناجم والمصانع ويشجع المنتجين ، الذين يلمسون مدى فائدة السوق الاوسع نطاقا ، على المطالبة بازالة الحواجز الاقليمية فى مناطق اخرى .

وبدا الاتحاد الاوروبى للفحم والصلب يتسع نطاقه ليشمل النواحى العسكرية . فاقترح بليفان ، رئيس الوزارة الفرنسية فى ذلك الوقت ، انشاء جيش أوروبى يمكن بوسلطته منع ازدياد القوة العسكرية لالمانيا ، وكذلك استخدام قوات المانيا فى الدفاع عن أوروبا . وبناء على هذا الاقتراح تم التوقيع على معاهدة منظمة الدفاع الاوربى بين دول اتحاد الفحم والصلب فى مايو عام ١٩٥٢ . ومع أن فرنسا اصرت على الا يكون لالمانيا جيش ، او وزير حربية ، أو هيئة اركان حرب ، فقد كان انضمام المانيا الى معاهدة الدفاع الاوروبى بمثابة خطوة جديدة نحو استرداد المانيا لمركزها المتكافىء مع الدول الغربية الأخرى ، وكذلك تأكيد مكانة المانيا السياسية .

وفيما يتعلق باعادة توحيد المانيا فقد كانت للغرب شـــروط تتلخص فى أن يتم ذلك عن طريق الانتخـــابات الحرة فى المانيا بشطريها الشرقى والغربى ؛ كما اصرت الدول الغربية على أن تترك الحرية لحكومة المانيا الموحدة فى أن تتبع السياسة الخارجية التى ترغب فيها .

وقد رفض الاتحاد السوفييتى شروط الغرب لاعادة توحيد المانيا ، لان الشرط الاول يعنى نهاية الحكم الشيوعى فى المانيا الشرقية ، والشرط الثانى من شأنه أن يجعل المانيا الموحدة تتحالف مع الغرب ، وربما تولت الحكم فيها حكومة « كونراد اديناور » الموالية للغرب . ولم توافق روسيا على اعادة توحيد المانيا الا على أساس جعل المانيا الموحدة دولة حيادية .

وهكذا راينا ان الشروط التى وضعها الغرب لاعادة توحيد المانيا انما تضمن استمرار تقسيم المانيا ، والواقع ان هذا هو ما يريده الغرب فعلا ، ففرنسا لاتريد الاندماج مع المانيا الموحدة التى ستسعى للسيطرة على أوروبا ، وبخاصة الدول الاعضاء فى الاتحاد الاوروبى للفحم والصلب ومعاهدة الدفاع الاوروبى ؛ لان المانيا ستصبح ، بعد اعادة توحيدها ، أقوى بكثير من تلك الدول كما ستكون أقوى من بريطانيا ، مما جعل هذه الدول تعارض هى ايضا اعادة توحيد المانيا .

ومن ناحية اخرى كان الشعب الالمانى ورجال الاعمال فى المانيا الغربية ينظرون بفتور الى مسألة اعادة توحيد المانيا ، فالشعب مشغول باعادة بناء اقتصاده والعمل على سد احتياجاته ، كما ان رجال الاعمال يرون أن اعادة توحيد المانيا يعنى تحويل رءوس الاموال الى المانيا الشرقية لرفع مستواها الاقتصادى الى المستوى الذى بلغته المانيا الغربية . وبالاضافة الى هذا كانت هناك جماعات سياسية معينة فى المانيا تعارض اعادة التوحيد ، او لاتعطيه التأييد الكافى . فالحزب المسيحى الديمقراطى ، الحاكم فى المانيا الغربية الذى يعكس اتجاه شعب المانيا الغربية — واغلبيته الساحقة من الكاثوليك — كان يعارض فى اعادة التوحيد لانها ستهدد مركزه فى الحكم لان شعب المانيا الشرقية أغلبيته من البروتستانت .

اما الحزب الاشتراكى الديمقراطى فانه يؤيد اعادة توحيد المانيا ويدعو للتفاوض مع روسيا على اساس جعل المانيا على الحياد بين الشرق والغرب الا ان شعب المانيا الغربية ايد ادیناور فى الانحياز للغرب والاندماج فى أوروبا الغربية ، بمعنى انه فضل الامن داخل المعسكر الغربى على الوقوف على الحياد ، لما لمسه فيما قام به الروس حينما قمعوا ثورة المجر عام ١٩٥٦ .

تحول السوفييت تجاه آسيا :

ادى النجاح الذى حققته السياسة الخارجية الامريكية فى اوروبا الى تحول السوفييت تجاه آسيا ، وما نتج عن هذا التحول من قيام الحرب الكورية عام ١٩٥٠ . فقد تلاشت فرص التوسع فى اوروبا فى ذلك الوقت امام روسيا خشية المجازفة بحرب شاملة فى الوقت الذى تحرز فيه امريكا تفوقا ذريا ، وتعريض كيان روسيا نفسها للخطر . ولهذا يممت روسيا وجهها شطر الشرق الاقصي ، وخاصة انها وجدت ان دول المنطقة التى لم تتخلص من الاستعمار الغربى ولم تحصل على استقلالها الا حديثا ، تكن شعور العداوة الشديدة للغرب . وادى انهيار الصين الوطنية وقيام حكم شيوعى فوق ارض الصين الام فى اواخر عام ١٩٤٩ الى ادخال مزيد من الضعف على مركز الغرب فى آسيا ، لأنه حول ميزان القوى فى الشرق الاقصي ضد الولايات المتحدة التى اصبحت تواجه القوة المشتركة للكتلة الصينية السوفييتية . وفى مواجهة الاصطدامات التى وقعت فى الشرق الاقصي فى خلال السنوات الاربع التالية اضطرت الولايات المتحدة الى تغيير سياستها الخارجية مستفيدة بذلك من دروس الحربين العالميتين الماضيتين .

الباب الرابع

سياسة كبح الجماح في الشرق الاقصى

سقوط الصين :

كانت امريكا ، فى خلال الحرب العالمية الثانية ، تأمل فى هزيمة اليابان واحلال دولة صينية ديمقراطية قوية وصديقة محلها، تقوم بالدور الرئيسي فى حفظ السلام فى الشرق الاقصي . وفى القاهرة عام ١٩٤٣ قدمت امريكا وبريطانيا وعدا الى الصين بان تعيدا اليها الاراضي التي سلبتها منها اليابان (مثل منشـــوريا وفرموزة وبسكادور) كمـــا منحت امريكا الصين مقعدا فى مجلس الامن ، مما جعلها تتساوى مع الدول الاربع الكبرى .

الا ان العقبة الاولى أمام انشاء صـين قوية كانت تتمثل فى وجود انقسام داخل الصين نفسها بالاضافة الى احتلال اليابان لبعض اجزاء من أراضي الصين .

فقد انشأ الشيوعيون « صينا شيوعية » فى شمالى ووسط الصـين الوطنية فكانت « الصين الشيوعية » هذه بمثابة دولة داخل الدولة ومسـاحتها نحو ١٥ فى المائة من مسـاحة الاراضي الصينية . وفى مواجهة هذا الوضـع حاولت الولايات المتحدة ازالة الشـــقاق

بين الوطنيين والشيوعيين بانشاء حكومة صينية ائتلافية تكفل توحيد جهود الشيوعيين والوطنيين لكسب الحرب ضد اليابانيين. الا ان جهود امريكا باءت بالفشـــــل . فقد كانت الثقة منعدمة بين الجانبين الوطني والشيوعي وكل منهما يسعى لاحتكار الســـلطة لنفسه . وهكذا اخذت حكومة « شيانج كاى شيك » الصـــينية الوطنية الموالية لامريكا ، تواجه المتاعب من جانب الشيوعيين فى الداخل والخطر الياباني من الخارج . وبالاضافة الى ذلك كان الشعب الصيني ساخطا على حكومة « كاى شيك » لانها لم تستجب لمطالب الفلاحين ولم تجر الاصلاحات الاقتصادية الضرورية ، بل لقد اخذت الحكومة تعتمد فى بقائها على مساندة ملاك الاراضي. وانتشر الفساد وتفشت الرشوة بين موظفى الحكومة كما ســـاد الفقر بين الفلاحين الذين يشكلون اربعة اخماس مجموع الســـكان وتتألف منهم غالبية قوات الجيش .

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ازداد وضـــع الصينيين الوطنيين سوءا نتيجة لحدوث تضخم فى النقد ، وتضـــاعفت الاسعار بصورة رهيبة فى الفترة مابين عامى ١٩٤٦ و ١٩٤٨ مما ادى الى استفحال الفساد داخل اجهزة الدولة وخاصة ان «كاى شيك » اخذ يعين اقاربه واقارب الموظفين المقربين اليه فى غالبية مناصب الحكومة .

وهكذا اخذت حكومة « كاى شيك » تفقد التأييد الشعبى ، وفى الوقت نفسه راحت تتبع اساليب العنف ضد المواطنين ، مما زاد من نفور الشعب منها . وكان من نتيجة ذلك ان بدأ بعض المثقفين ورجال الاعمال والفلاحين الســـاخطين يتحولون الى الجانب الشيوعى .

وادى زحف الجيش الروسي على منشوريا ، فى نهاية الحرب، فى المحيط الهادى (ضد اليابان) الى دعم مركز الشيوعيين فى

الصين وتهيئتهم لخوض الصراع العسكرى الحاسم ؛ فقد سهل الروس للشيوعيين الصينيين التوغل فى المناطق الريفية بمنشوريا، فلم تتمكن القوات الصينية الوطنية حين وصولها الى منشوريا الا من احتلال المدن فقط ؛ كما قام الروس بتفكيك المصانع فى منشوريا ونقلها الى روسيا مما جعل الصين عاجزة عن تحقيق الانتعاش الاقتصادى فيها بعد الحرب .

ولما بدأت المرحلة الحاسمة فى الحرب الاهلية الصينية عام ١٩٤٧ كان الاضطراب وعدم الاستقرار يسودان صفوف الوطنية لعدم كفاية القادة والتدخل المستمر فى القتال من جانب «كاى شيك » وقد تمكن الشيوعيون من قطع خط الامدادات والتموين عن القوات الوطنية فى منشوريا والحاق خسائر متوالية بها ، وفى فبراير عام ١٩٤٩ كان الشيوعيون يسيطرون على منشوريا ، وبعد ذلك فقدت قوات «كاى شيك» مناطق الصين الشمالية . مما أضعف فى القتال لدى القوات الوطنية التى تراخت فى الدفاع عن جنوب الصين ، فاضطر « كاك شيك » الى الانسحاب الى فورموزه . وفى خريف عام ١٩٤٩ أعلن «ماوتسي تونج» قيام جمهورية الصين الشعبية .

والسؤال الآن هو : هل كانت امريكا تستطيع منع هزيمة الصين الوطنية ؟ ربما أمكن ذلك لو أن ضباطا امريكيين تولوا قيادة القوات الوطنية ؛ ولو أن أمريكا ساهمت بمزيد من الاموال والقوات البحرية والجوية والبحرية لمساندة قوات الوطنيين . الا ان امريكا لم تكن تستطيع الوفاء بهذه المطالب ؛ نظرا لتسريح عدد كبير من القوات الامريكية ، كما ان الشعب الامريكى لم يكن مستعدا لحمل السلاح من جديد لمجرد القتال فى الصين ، وبجانب هذا وجدت أمريكا ان من الخطأ انفاق الاموال بلا حساب لدعم حكومة « كاى شيك » التى فقدت ثقة الشعب ؛ لان تلك الحكومة الفاسدة

الرجعية غير الكافية لم تكن لتستطيع القيام بالاصطلاحات الاجتماعية والاقتصادية التى تحتاجها الصين ، ومن هنا فان المساعدات الامريكية لم تكن لتغير من المصير المحتوم الذى لقيه الوطنيون الصينيون .

اعادة تقويم السياسة الامريكية فى الشرق الاقصي :

على الرغم من انهيار الصين الوطنية واختلال ميزان القوى فى الشرق الاقصي ظلت الولايات المتحدة تنظر الى تطورات الموقف فى تفاؤل . وصرح اتشيسون ، وزير خارجية أمريكا فى ذلك الوقت بانه على الرغم من اتفاق وجهات النظر المذهبية بين الصين والاتحاد السوفييتى فانهما لن يلبثا أن يصطدما بسبب احتلال روسيا لبعض المناطق فى شمال الصين وبخاصة منغوليا الخارجية ، وقيامها بضمها الى الاتحاد السوفييتى ، وكذلك احتلالها لمنشوريا ، وهكذا أخذت أمريكا تعمل للاستفادة من الصراع بين الشيوعية من جانب والقومية الصينية من جانب آخر ؛ وفى الوقت نفسه رأت أمريكا أنها لكى تتجنب كراهية الشعب الصينى لها ، فان عليها أن توقف تأييدها لحكومة «كاى شيك» كما رأت أن من الضرورى عدم تحويل انتباه الشعب الصينى عما قام به الاتحاد السوفيتى من استيلاء على الاراضي الصينية الشمالية ، وبذلك يمكن لامريكا استغلال ما تعتقده من تعارض فى المصالح بين الصين وروسيا .

وأصدرت أمريكا فى ذلك الوقت كتابا ابيض ، اعلنت فيه ان الصينيين الوطنيين فقدوا السيطرة على «الصين الأم» على الرغم من المساعدات العسكرية والاقتصادية الامريكية . وكان هذا يعنى فى وضوح ان « كاى شيك »لم يعد يستحق تأييد امريكا له ، ولهذا فان اعتراف امريكا بحكومة « كاى شيك » كحكومة رسمية للصين ، يجب ان يسحب . وقدم اقتراح بأن تعترف أمريكا بحكومة الصين

الشعبية بوصفها الحكومة الرسمية للصين . اعترافا بالأمر الواقع من ناحية ، واظهارا للصداقة نحوها من ناحية اخرى .

ثم اتخذت أمريكا خطوة ثانية بأن أعلنت انها لن تزود الوطنيين بالمساعدات العسكرية أو الخبراء العسكريين وان الحكومة الامريكية لن تسلك الطريق الذى يؤدى الى اقحامها فى الحرب الاهلية فى الصين . وقد ادى هذا الموقف من جانب امريكا الى فتح الطريق امام الصينيين الشيوعيين للاستيلاء على فورموزه ، وكان متوقعا ان يتم ذلك قبل نهاية عام ١٩٥٠ ، وحينئذ تصبح حكومة الصين الشعبية هى الممثل الوحيد للصين فتعترف بها الولايات المتحدة . ورات امريكا فى ذلك الوقت انه يجب القضاء على « كاى شيك » وان تنفذ امريكا سياستها الخاصة بكبح الجماح ضد روسيا بوساطة « ماوتسي تونج » . ولكن قبل أن يتحقق ذلك نشبت الحرب الكورية .

الحرب الكورية والنزاع بين ترومان وماكارثر :

ظلت كوريا مقسمة منذ عام ١٩٤٥ . فبعد هزيمة اليابان وانتهاء الحرب العالمية الثانية اتفقت امريكا وروسيا على تقسيم كوريا عند خط عرض ٣٨° شمالا بحيث تتولى روسيا الاشراف على نزع سلاح اليابانيين فى القسم الشمالى وتقوم امريكا بالعمل نفسه فى القسم الجنوبى . ومع بداية الحرب الباردة اصبح هذا الخط قائما بصفة دائمة ، وفشلت جهود امريكا لانهاء تقسيم كوريا وتحويلها الى دولة ديمقراطية موحدة . وفى اواخر عام ١٩٤٧ عرضت أمريكا المشكلة على الامم المتحدة وطالبتها باجراء انتخابات حرة فى جميع انحاء كوريا تحت اشرافها .

وقد قررت الجمعية العامة للامم المتحدة تشكيل لجنة مؤقتة فى كوريا تتولى الاشراف على اجراء الانتخابات . ولكن الروس

رفضوا السماح للجنة بدخول كوريا الشمالية وحينئذ قامت امريكا باجراء انتخابات كوريا الجنوبية وحدها تحت اشراف الامم المتحدة واعترفت بجمهورية كوريا الجنوبية باعتبارها الجمهورية الكورية الرسمية وبحكومة « سينجمان رى » كحكومة شرعية لها ، واخذت تزودها بالمساعدات الفنية والاقتصادية والعسكرية ، وذلك على الرغم من انها لم تكن حليفة للولايات المتحدة .

ولجأت امريكا بعد ذلك الى سحب قواتهـــا من كوريا حتى لاتتعرض هذه القوات للوقوع فى شراك تنصـــبها لها القوات السوفييتية البرية فى حالة وقوع حرب شاملة . واكتفت امريكا بالدفاع عن كوريا الجنوبية بوساطة القوة الجوية والبحـــرية الامريكية . ولكن عدم ارتباط امريكا باتفاقية تلتزم بتأييد كوريا الجنوبية عسكريا جعل أراضي كوريا الجنوبية بمثابة فراغ يغرى الشيوعيين بالتوسع .

وجاء الهجوم الشيوعى على كوريا الجنوبية فى ٢٥ من يونيو عام ١٩٥٠ مفاجأة تامة للحكومةالامريكية . اذ أن صانعى السياسة الامريكية كانوا يعتقدون ان الزعماء الســوفييت يبنون تفكيرهم ، مثلهم ، على اساس الحرب الشاملة ، وليس على أساس الحرب الصغيرة او المحدودة . ولهذا فقد تركت كوريا خارج المنطقة التى تعهدت امريكا بالدفاع عنها فى المحيط الهادى ، وهى تمتد من جزر الوشيان الى اليابان وجزر ريوكيو (أوكيناوا) والفيلبين .

دل الهجوم المحدود على كوريا الجنوبية على ان المسئولين السوفييت لم تردعهم سياسة الانتقام الشامل الامريكية ، كما اثبت أن هذه السياسة لاتصلح للتطبيق خارج اوروبا ، واتضـــح ان الهجوم المحدود فى كوريا لايمكن مواجهته الا بهجوم محلى تستخدم فيه القوات البرية الامريكية . ولكن امريكا كانت قد اخذت تخفض

من قواتها منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية . ولم تكن الاستراتيجية الأمريكية مستعدة بالمرة لمواجهة التحدى السوفييتى فى منطقة محدودة ، وانما كان الاستعداد قائما على اساس مواجهة الهجوم السوفييتى الشامل على الولايات المتحدة واوربا الغربية باستخدام القوة التابعة للقيادة الجوية الاستراتيجية الامريكية . ولهذا فقد حاولت امريكا ، فى اول الحرب الكورية ، صد تقدم قوات كوريا الشمالية باستخدام القوة الجوية والبحرية وحدها ، الا ان الجنرال « مك ارثر » قائد القوات الامريكية فى الشرق الاقصى ، اعلن أن كوريا ستضيع مالم تستخدم القوات البحرية لصد جيش الشيوعيين . وادركت امريكا انها مالم تقم بعمل ما فان سياسة كبح جماح التوسع السوفييتى سوف تفشل ، كما انه اذا استطاعت كوريا الجنوبية فان هذا سيبين للعالم ان امريكا اما خائفة من القوة السوفييتية او أنها غير معنية بسلامة حليفاتها ، الأمر الذى يؤدى الى انفراط عقد التحالف الغربى وعزل الولايات المتحدة .

وقد قررت الأمم المتحدة تشكيل قوة دولية برية للدفاع عن كوريا الجنوبية نظرا لان المنظمة الدولية كانت تبدى عطفا خاصا تجاه الدولة الوليدة التى قامت بناء على انتخابات حرة اشرفت عليها الامم المتحدة . ونزلت قوات الامم المتحدة المشتركة على أرض كوريا الجنوبية واخذت تارة تتقدم نحو خط عرض ٣٨° ، وتتراجع عنه تارة اخرى تحت ضغط الشيوعيين الكوريين الذين كان يساعدهم متطوعون من الصين الشعبية . ثم استقرت قوات الأمم المتحدة آخر الامر عند هذا الخط فى مارس عام ١٩٥١ . وهنا واجهت امريكا تلك المشكلة : هل تعمل على اعادة توحيد كوريا بالقوة العسكرية او تقبل تقسيم كوريا ؟

أصر مك آرثر — الذى كان يتولى منصب القائد الاعلى لقوات الامم المتحدة المشتركة — على أن الهدف السياسي للحرب الكورية

هو انشاء دولة كورية موحدة ، وان عدم تحقيق هذا الهدف يعد خيانة لما تعهدت به امريكا للكوريين . كما انه سيشجع الصينيين على شن مزيد من العدوان . بل لقد رأى ماك آرثر وجوب تقليم اظافر الصين التى تحولت الى دولة عدوانية توسعية وبمعنى آخر أراد ماك آرثر احداث تغيير فى الصورة الاستراتيجية للشرق الاقصى فى الوقت الذى مازالت أمريكا تحوز فيه تفوقا على روسيا التى لم تحقق بعد قوة ذرية وصناعية تمكنها من الوقوف أمام قوة أمريكا .

ولكن حكومة ترومان رفضت مقترحات ماك آرثر باعتبارها تنطوى على مخاطر كبيرة . اذ انه يخشي أن يؤدى ضرب الصين بالقنابل والحاق الهزيمة بها الى نشوب حرب عالمية ثالثة لأن الصين تعتبر الحليف الرئيسي لروسيا ؛ كما أن الاتحاد السوفييتى وقع معاهدة مع الصين الشعبية فى فبراير عام ١٩٥٠ التزم فيها بأن يهب لمساعدة الصين اذا ما تعرضت للهجوم من جانب اليابان أو اية دولة اخرى ترتبط باليابان (وهى اشارة واضحة الى الولايات المتحدة) وعلى فرض ان الاتحاد السوفييتى لن يتدخل فان الولايات لايمكنها توسيع نطاق الحرب لان قيام الصينيين بشن حرب فى كوريا من شأنه أن يستنزف طاقة الولايات المتحدة ويجعل من المستحيل انشاء دفاع عسكرى قوى فى أوربا مما يعرض أوربا للهجوم من جانب الجيوش السوفييتية .

ولهذا فانه يجب على امريكا أن تدخر قوتها لكى تستخدمها ضد عدوها الرئيسي ، وهو الاتحاد السوفييتى . وباختصار ، رات الحكومة الامريكية أن الاستراتيجية التى يتبعها ماك آرثر سوف تقحم الولايات المتحدة فى حرب لاتريدها ، وفى مكان ووقت غير مناسبين ومع غير العدو المقصود . وشاركت بريطانيا وفرنسا الحكومة الامريكية فى هذا الموقف . وهكذا رفضت الهيئة الامريكية المشتركة

لرؤساء اركان الحرب مقترحات ماك آرثر ، واتضح ان من الحكمة انهاء الحرب فى المكان الذى بدات فيه .

الا ان ماك آرثر رفض ان يرجع عن تنفيذ الاستراتيجية التى وضعها وأن يكتفى بحصر نطاق الحرب فى شبه جزيرة كوريا . وكانت وجهة نظره هى انه اذا كانت الولايات المتحدة تحرز فعلا قوة ذرية متفوقة فان الاتحاد السوفييتى لن يشعل نيران حرب عالمية لمجرد ان الطائرات الصينية ضربت المدن الصينية بالقنابل . واتهم ماك آرثر الحكومة الامريكية بانها تفصل بين تفكيرها النظرى وبين التطبيق العملى ، فهى من الناحية النظرية تقرر أن القيادة الجوية الاستراتيجية الامريكية لديها القوة الرادعة التى تمنع الاتحاد السوفييتى من شن حرب شاملة ، ولكنها من الناحية العملية تتصرف على افتراض أن الروس لايعيرون أهمية تذكر للقوات الاستراتيجية الامريكية الضاربة .

حاول ماك آرثر دون جدوى اقناع ترومان والهيئة المشتركة لرؤساء اركان الحرب برفع القيود المفروضة عليه ، وحينئذ تخطى ترومان وهيئة أركان الحرب ولجأ الى الحزب المعارض ليناشده العمل على تغيير السياسة الخارجية التى تتبعها . وكان رد ترومان على ذلك هو عزل ماك آرثر .

رد الفعل المضاد لسياسة كبح الجماح :

وقد قوبل عزل ماك آرثر بعاصفة من الاستنكار فى انحاء الولايات المتحدة وعم السخط على ترومان وأتشيسون ، وزير الخارجية ، وكان ذلك بمثابة انعكاس لاستياء الشعب الامريكى من سياسة كبح الجماح التى تتبعها حكومة ترومان ، والتى تتناقض من الناحيتين النفسية والعاطفية مع القيم والتجارب الامريكية فى ميدان الشئون الخارجية ، ذلك لان هذه السياسة ستجعل أمريكا واقعة

بصفة دائمة فى دوامة الشئون الخارجية ، فى حين يريد الشعب ان يعود للعناية بشئونه الداخلية ــ كما انها لن تمكن الولايات المتحدة من تكريس قوتها الضخمة للقيام بعمل عسكرى سريع « لمعاقبة » العدو الذى أجبرها على تحويل اهتماماتها عن شئونها الداخلية الملحة . ذلك لان الحكومة الامريكية لم يكن هدفهـــا تدمير روسيا والدول التى تدور فى فلكها ، وانما كان هدفهـــا الوحيد هو ايجاد توازن للقوى يكفل كبح جماح اية محاولات سوفييتية جديدة للتوســع، لتحقيق التعايش السلمى ، بدلا من العمـــــل على انهاء التهديد الى الأبد .

وقد أدى الفشـــــل المتوالى الذى واجهته الولايات المتحدة وبخاصة ما يتعلق بالصين ، الى جعل سياسة كبح الجمـــاح أمرا لا يمكن تحمله .

فقد كانت الولايات المتحدة ، منذ مطلع القرن الحالى ، تعتبر نفسها حامية للصين وناقلة التراث الحضارى الغربى اليها ، لأن الصين كانت سوقا ضخمة للمنتجات الامريكية .

ولهذا فقد أصيبت أمريكا بصدمة شديدة حينما انهـــار حكم «كاى شيك» عام ١٩٤٩ واستولى الشيوعيون على «الصين الأم» واخذوا يكيلون الاتهامات للولايات المتحدة بأنها العدو اللدود للشعب الصينى وانها دولة استعمارية فاســـدة تعتبر مركزا للرجعية فى العالم . وان الهزيمة ستلحق بها فى النهـــــاية فكان انهيار آمال أمريكا فى أن تجعل من الصين دولة ديمقراطية حليفة يعتمد عليها فى الشرق الاقصى بمثابة ضربة موجهة الى الشعب الامريكى .

ومما زاد من الشـــــعور بالقلق وعدم الامن الناجمين عن تلك الهزائم وقوع حادثتين هما : تفجير روسيا لقنبلتهـــا الذرية الأولى واكتشاف أن روسيا تواصل التجسس فى الاوساط الامريكية العليا

وقد نتج عن قيام الحرب الكورية وتدخل الصين أن ازداد الشعور بعدم الرضاء عن السياسة الامريكية . وأخذ الشعب يطالب بأن تتبع أمريكا سياسة التشدد مع العدو لكى تسترد كرامتها وهيبتها وتنهى الحرب الكورية ، كما أخذ الشعب يطالب بالتخفيف من انشغال امريكا المستمر بالشئون الخارجية والعمل على خفض مصروفات الحكومة .

الباب الخامس

استراتيجية حافة الحرب

آيزنهاور وتحرير الشعوب :

استغل الجمهوريون بمهارة فى اثناء حملة الانتخابات الرياسية عام ١٩٥٢ استياء الشعب الامريكى من سياسة كبح الجماح ويرجع هذا الاستياء الى توهم الشعب بأن أمريكا قادرة على كل شيء . واخذ الجمهوريون يعلنون ان عدم الامن القائم فى أمريكا بصورة خطيرة ، واقحام امريكا فى الحرب الكورية ، انما جاء نتيجة للأخطاء الشنيعة « التى ارتكبها روزفلت وترومان فى مؤتمرات طهران ويالتا وبوتسدام مع السوفييت » .

ففى هذه المؤتمرات مهد الزعماء الديمقراطيون للتوسع السيوعى بعد الحرب ، بأن باعوا أوربا الشرقية للسوفييت ، وخانوا « شيانج كاى شيك » وبمعنى آخر كانت جراح امريكا بعمل يديها هى .

كما اتهم الجمهوريون الديمقراطيين بأنهم اتبعوا سياسة خارجية انهزامية وانهم — اى الديمقراطيين — اخذوا يروجون للادعاء الكاذب بأن امريكا قوتها محدودة ، وجعلوا امريكا تلتزم بتعايش سلمى دائم وتظل مشغولة بالشئون الخارجية بصفة

مستمرة . واعلن جون فوستر دالاس (١) كبير المتحدثين باسم الحزب الجمهورى فى الشئون الخارجية فى ذلك الوقت ، أن سياسة كبح الجماح كانت سياسة سلبية لانها أسلمت زمام المبادرة للعدو ، وهى لم تكن تفعل اكثر من القيام بعمل مضاد فى مواجهة الخطر الشيوعى فى الوقت والمكان اللذين يختارهما العدو لشن هجومه ، وهى سياسة باهظة التكاليف يمكنها ان تؤدى الى افلاس البلاد ، بل ان هذه السياسة لم تكن تهدف الا الى الابقاء على الاوضاع القائمة وأكد « دالاس » ان السياسة يجب ألا يكون هدفها التعايش الى مالانهاية مع التهديد الشيوعى ؛ وانما العمل على استئصال هذا التهديد .

وقال « دالاس » ان الشيوعيين يكسبون الحرب الباردة لانهم يربطون هذه الحرب بالافكار الاجتماعية التى تستثير الانسانية فى كل مكان فى حين أن الولايات المتحدة تفقد هذه الحرب لأنها تتبع سياسة مادية قائمة على الاحصائيات الجامدة . وانه لتغيير هذا الوضع يجب على أمريكا ان تؤكد من جديد رسالتها الانسانية التقليدية وان تجعل من نفسها بلدا يتمثل فيه تطلع العالم الى الحرية ، أى ان « دالاس » دعا الى ان تتبع أمريكا سياسة تجعل الولايات المتحدة من جديد مصدر أمل للشعوب المستعبدة المتطلعة الى الاستقلال ومصدر يأس للمعتدين . ودعا الى ان تعلن أمريكا انها لن تكون طرفا فى اى اتفاق من شأنه أن يؤكد سيطرة الاتحاد السوفييتى على شعوب الدول التى تدور فى فلكه . فهذا من شأنه أن يعطى هذه الشعوب الأمل ويشجعها على رفض الحكم السوفيتى مما يؤدى الى انهيار الامبراطورية السوفييتية آخر الامر وتحرر الشعوب المستعبدة ، فيضطر الاتحاد السوفييتى الى التراجع ويسود السلام العالم من جديد ويصبح مهيئا لتحقيق الديمقراطية .

---

(١) دالاس : تولى منصب وزير الخارجية بعد ذلك فى حكومة أيزنهاور .

وهكذا نجد أن الجمهوريين أخذوا يتعهدون ، ليس فقط العمل على انهاء الحرب الباردة وانما أن يتم ذلك بأقل التكاليف . وذلك بأن يحققوا في وقت واحد اجبار الدول السوفييتية على التراجع وخفض اعتمادات الدفاع الامريكية وذلك بوضع استراتيجية هجومية وميزانية متوازنة وخفض الضرائب .

ولكن هذه الاهداف لم تكن غير منسجمة بعضها مع بعض فحسب ، وانما كان من المحال تحقيقها لان اعلان امريكا مساندتها لتحرر الشعوب المستعبدة لن يحرر أية دولة تدور في فلك روسيا الا أنه يبدو أن الجمهوريين لم يكن يعنيهم حقا تحقيق هذا الهدف لان سياسة تحرير الشعوب هذه كانت تستهدف اساسا حمل الديمقراطيين — وليس الجيش الاحمر في اوربا الشرقية — على التراجع .

وكانت الدعوة لتحرير الشعوب المستعبدة بمثابة العلاج الذى اعطاه الجمهوريون لشعب يرفض قبول حقيقة ان امريكا قوتها محدودة في العالم ، ويرفض اى تغيير في نظرته التقليدية للسياسة الخارجية . اى ان هذه الدعوة كانت مجرد كلام نظرى والا كان معناها أن تتعرض امريكا لخوض حرب شاملة ضد الاتحاد السوفييتى لو كانت جادة فعلا في العمل على تحرير الشعوب المستعبدة . وقد اتضح ذلك حينما قامت الثورة المعادية للشيوعية في المانيا الشرقية في يونيو عام١٩٥٣وحينما قامت الثورة الوطنية في المجر في اواخر عام ١٩٥٦ . اذ لم تفعل امريكا في كلتا الحالتين اكثر من التنديد بالاتحاد السوفييتى واظهار عطفها على ضحايا الاستبداد السوفييتى ، بل لقد أكدت امريكا لروسيا انها لا تعتزم التدخل في المجر . وبذلك عادت امريكا الى اتباع سياسة تأكيد الأمر الواقع وتحولت سياسة تحرير الشعوب الى سياسة « كبح الجماح » من جديد .

الا أن حكومة الجمهوريين اوفت ، مع ذلك ، بوعودها المتعلقة بدعم المركز العسكرى والاقتصادى للبلاد ، فاتخذت ثلاثة اجراءات ، اولها انهاء الحرب الكورية مما ادى الى خفض عدد القوات العاملة وتوفير نقلت القوات المحاربة فى كوريا . والاجراء الثانى هو العمل على رسم خط واضح يحدد الكتلة السـوفييتية الصينية ، وكان الديمقراطيون قد رسـموا هذا الخط وجعلوه يمتد من النرويج الى تركيا ، فجاء الجمهوريون ليعملوا على تقوية هذا الخط وجعله يمتد الى الشرقين الاوسط والاقصي . والاجراء الثالث هو العمل من اجل حماية هذا الخط الذى يحيط بالكتلة الشيوعية ، وذلك باستخدام القوة الرادعة القيادية الجوية الاستراتيجية بحيث يدرك السوفييت والصينيون انهم اذا عبروا هذا الخط فانهم انمـا يجازفون بحرب شاملة مع الولايات المتحدة .

وهكذا اتبعت حكومة الجمهوريين سياسة «الانتقام الشامل» ورفضت فكرة «الحروب المحدودة» «أو انصاف الحروب» وبخاصة ان السبب الرئيسي فى نجاح الجمهوريين فى الوصول الى الحكم عام ١٩٥٢ هو استياء الشعب الامريكى من الحرب الكورية ورغبته فى عدم قيام « حروب كورية » اخرى .

وقد رأى «دالاس» ان الوسيلة الوحيدة الفعالة لمنع المعتدى من القيام بالعدوان هى تحذيره من ان اعتداءه سيعرضه لضربات شاملة تجعل المكاسب التى ينالها من وراء عدوانه تتضـاءل أمام العقاب الذى سـيلحق به . وكان « دالاس » يعتقد اعتقادا قويا بان كوريا ما كانت لتتعرض للغزو لو ان الشـيوعيين ادركوا ان هجومهم سيقابل بتوجيه ضربات انتقامية جوية على موسـكو . واعتقد الجمهوريون أنه بذهاب الولايات المتحدة الى «حافة الحرب» فانها ستتمكن من منع تكرار ماحدث فى كوريا . وقد عرفت هذه السياسة فيما بعد بسياسة « حافة الحرب » ورأى الجمهوريون

أن يحاولوا تطبيقها لاول مرة فى مسعيهم لتحقيق وقف اطلاق النار فى كوريا .

انهاء الحرب الكورية :

بدأت مفاوضات الهدنة الكورية فى صيف عام ١٩٥١ ولكن المحادثات توقفت بسبب الخلاف حول مسألة اسرى الحرب ، فقد رفض ٤٦ الف من الاسرى الصينيين والكوريين الشماليين العودة الى اوطانهم ورفضت امريكا اجبارهم على ذلك .

ولما تولت حكومة ايزنهاور الحكم فى يناير عام ١٩٥٣ اتخذت اجراءين فى محاولة لانهاء الحرب الكورية : اولا : قيامها باطلاق فرموزة من عقالها : ذلك لانه فى عهد ترومان كان الجيش السابع الامريكى يرابط فى مضايق فرموزة لمنع فرموزة او الصين من أن تهاجم احداهما الأخرى ، واعتقد آيزنهاور ان الصين ستضطر بذلك الى سحب بعض قواتها من كوريا لمواجهة احتمال تعرضها للهجوم من جانب فرموزة بتأييد من امريكا .

ثانيا : قررت حكومة ايزنهاور انه فى حالة فشل جهودها لتحقيق الهدنة فانها سوف تضرب القواعد الصينية ومراكز الامدادات فى منشوريا والصين بالقنابل وتفرض حصارا على ساحل الصين الام . وربما تستخدم الاسلحة الذرية التكتيكية فى ذلك ، وابلغت الصين بقرارها هذا بطريق غير مباشر وفى يونيو عام ١٩٥٣ استؤنفت المفاوضات .

وفى اواخر يوليو كانت اتفاقية الهدنة الكورية قد ابرمت . وقد عزز ذلك من اعتقاد « دالاس » بجدوى توجيه الانذار مقدما مع التهديد فى الوقت نفسه بالعقاب الشديد .

وقد وقعت امريكا ، بعد ذلك ، معاهدة امن متبادل مع كوريا الجنوبية كاجراء يقصد به ردع العدو عن شن اى هجوم آخر .

واصبح خط ٣٨° شـــمالا جزءا من الخط الفاصـــــل بين الكتلتين الشيوعية وغير الشيوعية . وســـبق توقيع هذه المعاهدة صدور اعلان وقعت عليه الدول الخمس عشرة التى حاربت فى كوريا ضمن قوات الأمم المتحدة ، وحذر الاعلان الصـــين الشيوعية من انه فى حالة تجدد العدوان فربما يصبح من المحـــــال حصر القتال داخل كوريا .

حرب الهند الصينية وحلف جنوب شرقى آسيا :

رفضت فرنسا الاستجابة لمطالب الاستقلال التى أخذت تعلنها الحركات الوطنية القومية فى المســـــتعمرات بعد الحرب العالمية الثانية ، ويرجع ذلك الى ان الاســـتعمار الفرنسي كان يعمل على اذابة شعوب المستعمرات فى فرنسا . ولهذا فقد حاولت فرنسا ان تقمع حركة « غيتمنة » الوطنية القومية فى الهند الصينية مما ادى الى نشوب الحرب الاهلية هناك عام ١٩٤٦ واصبح الشيوعيون تحت زعامة « هوشي منه » هم الممثلين للاتجاه الوطنى فى الهند الصينية وحينئذ عملت فرنسا على التقدم بتنازلات للحركة الوطنية، فاعلنت قيام دولة فيتنام تحت حكم الامبراطور « باوداى » واعلنت ان كمبوديا ولاوس اصبحتا دولتين داخل الاتحـــاد الفرنسي ، ولكن الوقت كان متأخرا ، وازدادت الحرب الاهلية شدة ، وكان الراى العام الامريكى لا يبدى اى عطف تجـــاه محاولات فرنسا فرض سيطرتها الاستعمارية على الهند الصينية ، ولكن هزيمة «كاى شيك» وقيام الحرب الكورية جعلت أمريكا تتدخل فى الهند الصينية وتساند فرنسا ، حتى لقد اخذت أمريكا تدفع نحو ٧٥ فى المائة من نفقات الحرب هناك . واعلن آيزنهـــاور — ودلاس ، ان الهند الصينية اصبحت ذات اهمية اســـتراتيجية بالنسبة لأمن امريكا . وحذر الصين من التدخل هناك سواء بطريق مباشر او غير مباشر وهددها بالانتقام الشامل . ولكن اتضح بعد ذلك ان تهديدات أمريكا كانت

جوفاء . فحكومة ايزنهاور على الرغم من اعترافها بالاهمية الحيوية للهند الصينية لم تكن ترغب فى اقحام الولايات المتحدة فى « حرب كورية اخرى » وبجانب هذا كانت الحكومة الامريكية تقوم فى ذلك الوقت بخفض عدد القوات العاملة ولم يكن لديها فرق تكفى للقتال فى الهند الصينية .

وبالاضافة الى ذلك . تجاهلت الصـــين تهديدات أمريكا ورفضت أن تصدق ان امريكا يمكنها ان تخاطر بالدخول فى حرب شاملة بسبب الهند الصينية ، كما سبق ان رفضت روسيا ان تصدق أن أمريكا يمكنها أن تخاطر بالدخول فى حرب شملة بسبب كوريا ، لاعتقاد روسيا والصين بأن امريكا لاتفعل ذلك الا فى حالة تعرض اوربا او الولايات المتحدة للهجوم الشـامل . واخذت الصين تقدم المساعدات المتزايدة الى حركة « فيتمنه » .

وفى ١٣ من مارس عام ١٩٥٤ شنت قوات « فيتمنة » هجوما على قلعة « ديان بيان فو » الفرنسية فى فيتنام الشمالية . واصبح مركز فرنسا فى فيتنام الشمالية مهددا فجأة بالزوال ولم يكن لينقذ فرنسا هناك سوى التدخل العسكرى الامريكى .

وهكذا وجدت امريكا نفسها تواجه للمرة الثانية تلك المشكلة الخطيرة . اما الا تفعل شيئا او أن تخاطر بالدخول فى حرب شاملة، ذلك لان حكومة ايزنهاور كانت تشـارك حكومة ترومان السابقة فى الخوف من ان يؤدى الهجوم على الصين الى التعجيل بتدخل الروس .

وقد أوضحت تجربة الحرب الكورية ان سـياسـة كبح الجماح لا يمكن أن تنجح دون وجود رغبة ومقدرة على خوض حرب محدودة. ولكن امريكا تجاهلت درس الحرب الكورية واخذت تقنع نفسـها بأن الحرب الكورية ما كانت لتقع لو ان انذارا وجه بأن اى هجوم

على كوريا الجنوبية سيواجه بضربات انتقامية ، الا ان الوضع فى الهند الصينية اثبت ان التهديدات وحدها لاتكفى ، وان من الضرورى تعزيزها بالرغبة والمقدرة على انزال القوات الامريكية البرية للقتال . والا فان امريكا ستجد نفسها تفقد منطقة بعد اخرى حيث يستطيع الشيوعيون ان يغيروا من ميزان القوى فى العالم بالتدريج دون ان يواجهوا الولايات المتحدة بالتحدى الذى « يستحق » من وجهة نظر امريكا الدخول فى حرب شاملة وهو النوع الوحيد من الحروب الذى كانت أمريكا مستعدة له .

وفى مواجهة هذا العجز من جانب امريكا لجأت الحكومة الفرنسية الى التفاوض مع الشيوعيين مباشرة من اجل انهاء الحرب، فقد كان الشعب الفرنسي منهكا من الحرب فى الهند الصينية مثلما كان الشعب الامريكى منهكا من الحرب فى كوريا ، وفى ٢٠ من يوليو عام ١٩٥٤ وقعت اتفاقية الهدنة ، وهى تقضي بتقسيم فيتنام الى قسمين عند خط عرض ١٧° شمالا ، واصبح الشيوعيون يسيطرون على فيتنام الشمالية التى صارت تدعى « فيتمنة » كما اصبح الخط الفاصل بين دولتى فيتنام يشكل جزءا من الحدود الفاصلة بين العالمين الشيوعى وغير الشيوعى .

ورات امريكا انه ، بانهيار مركز فرنسا فى الهند الصينية وتزايد التهديد الصينى ، اصبح من الضرورى من الخط الفاصل بين العالمين الشيوعى وغير الشيوعى الى داخل آسيا . وفى سبتمبر عام ١٩٥٤ وقعت الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا واستراليا ونيوزيلنده والفيلبين وباكستان وتايلاند على معاهدة حلف جنوب شرقى آسيا التى تقضي بالدفاع عن منطقة جنوب شرقى آسيا باستثناء هونج كونج وفورموزه ، وتم التوقيع على بروتوكول آخر يقضي بادخال فيتنام الجنوبية ولاوس وكمبوديا داخل نطاق المنطقة التى يتولى الحلف حمايتها . وقد الحقت امريكا باتفاقية

الحلف تحفظا خاصا يقضي بألا يستخدم الحلف الا فى مواجهة العدوان الشيوعى وحده ، وان يجرى التشاور بين الدول فى حالة وقوع اى هجوم من نوع آخر على احدى دول الحلف ، وكان قصد أمريكا من ذلك هو أن تؤكد للهند أنها لن تؤيد باكستان اذا ما نشبت الحرب بين البلدين . ذلك لأن هدف باكستان من انضمامها الى الحلف هو تقوية نفسها ضد الهند .

مضايق فرموزه والجزر القريبة من ساحل الصين :

لم تكد أزمة الهند الصينية تمر حتى نشبت أزمة جديدة فى مضايق فرموزه . ففى صيف عام ١٩٥٤ أعلنت الصين الشيوعية عزمها على الاستيلاء على فرموزه . واخذت تضرب بمدافعها جزر كيموى وماتسو وتاتشن التابعة لفرموزه ، وهى قريبة من الساحل الصينى .

وفى ديسمبر من العام نفسه وقعت أمريكا مع مورموزه معاهدة أمن متبادل تقضي بأن تضمن الولايات المتحدة سلامة فورموزه وجزر بسكادور القريبة منها ، كما تعهدت فورموزه بعدم مهاجمة الصين الأم او تعزيز حامياتها الساحلية دون موافقة الولايات المتحدة . وهكذا عادت أمريكا لدعم مركز « كاى شيك » مرة اخرى . الا ان الدفاع عن الجزر القريبة من الساحل الصينى لم يدخل ضمن هذه الاتفاقية ، ومع ذلك فقد اكد ايزنهاور لشيانج كاى شيك ، بصفة شخصية ، ان الولايات المتحدة سوف تدافع عن جزيرتى كيموى وماتسو .

وفى الوقت نفسه اعلن وزير خارجية الصين الشعبية ان الصين ستستخدم كل قواتها للاستيلاء على فورموزه ، وانها سوف تستخدم الجزر المواجهة للساحل الصينى كوسيلة لتحقيق هذا الهدف . ولكن الصينيين الشيوعيين امتنعوا عن شن اى هجوم

على كيموى وماتسو اعتقادا منهم أن الولايات المتحدة سوف تستخدم حينئذ قواتها المسلحة دفاعا عن الجزر الساحلية .

وفى اغسطس عام ١٩٥٨ ظهر موقف الولايات المتحدة حينما بدا الشيوعيون يقصفون الجزر الساحلية بمدافعهم قصفا عنيفا . وحينئذ استعرض الاسطول السابع الامريكى قوته لاظهار استعداده لتأمين الحماية اللازمة للجزر الساحلية بالتعاون مع قوات فورموزه. وقامت قوات مشاة الأسطول الامريكية بنقل المدافع القادرة على اطلاق القذائف الذرية من أوكيناوا الى كيموى ، لمواجهة اى غزو للجزر الساحلية وبذلك امكن منع الغزو باستخدام هذه الوسائل الرادعة ورفضت امريكا بعد ذلك دعوة كاى شيك لها لغزو الصين الام ؛ لأنها أدركت أن تطلع فورموزه لاعادة الاستيلاء على الصين هو تفكير خرافى . وأصبحت سياسة أمريكا فى مضايق فرموزه هى الابقاء على الاوضاع القائمة كما هى ، وبذلك حلت سياسة «كبح الجماح» من جديد محل سياسة تحرير الشعوب المستعبدة . وفى ذلك الوقت تحول اهتمام الشيوعيين تجاه الشرق الاوسط .

الشرق الاوسط والسويس :

اتمت الولايات المتحدة عام ١٩٥٥ رسم الخط الفاصل بين المعسكر السوفييتى الصينى والمعسكر الغربى ، وذلك بتبنيها انشاء حلف بغداد من : بريطانيا وتركيا وايران والعراق وباكستان ، وبذلك امتد الخط الفاصل بين دول حلف الاطلنطى والمعسكر الشيوعى من تركيا الى الهند . وقد أحدث ذلك رد فعل عنيف من جانب روسيا. وعلى الرغم من أن روسيا كانت قد ارغمت على الانسحاب من ايران عام ١٩٤٦ فانها لم تتخل عن اطماعها فى هذه المنطقة الحيوية . وبالنسبة لبريطانيا فقد كانت فى الماضي تعتبر المنطقة ، وخاصة قناة السويس ، حيوية لامبراطوريتها ، كما انها تعتبرها حيوية

للكومنولث فى الوقت الحاضر . وبدون بترول الشرق الاوسط ستتعرض اوربا للانهيار ، فاذا تمكنت روسيا من السيطرة على هذه المنطقة فان أوربا سوف تصاب بالشلل . وباختصار كان الشرق الاوسط هو الوسيلة التى يتمكن الاتحاد السوفييتى بوساطتها من ثنى جناح حلف الاطلنطى واحداث تصدع فيه ، وكانت الفرصة متاحة امام الاتحاد السوفييتى ، ليحقق هذا الهدف . بسبب النزاع العربى الاسرائيلى المرير والنزاع المصرى الانجليزى .

وكانت بريطانيا قد تعهدت عام ١٩١٧ بانشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين التى كانت واقعة تحت الانتداب البريطانى .

وفى نوفمبر عام ١٩٤٧ قررت الأمم المتحدة تقسيم فلسطين الى دولتين مستقلتين احداهما عربية والاخرى يهودية ، ولكن العرب رفضوا هذا الحل ، وفى مايو عام ١٩٤٨ انهت بريطانيا انتدابها على فلسطين وفى اليوم نفسه أعلن اليهود قيام دولة اسرائيل ، ودخلت الجيوش العربية فلسطين ، وقد رفض العرب الاعتراف باسرائيل أو عقد صلح معها ، وهم يعلنون اليوم عزمهم على تدمير اسرائيل وتطلعهم ليوم الانتقام . كما يرفض العرب السماح لليهود بالمرور فى قناة السويس واغلقوا فى وجهها خليج العقبة .

وبالنسبة لمصر اضطرت بريطانيا عام ١٩٥٤ لتوقيع معاهدة للجلاء عن السويس خلال ٢٠ شهرا ، وكانت الولايات المتحدة قد ايدت مصر فى مطالبتها بانسحاب القوات البريطانية . وبذلك انتهى تاثير بريطانيا فى السياسة المصرية ، وحولت بريطانيا اهتمامها من مصر الى العراق فانضمت الى حلف بغداد لحماية مصالحها الاستراتيجية والاقتصادية الحيوية فى المنطقة . وقد اعتبر العرب قيام حلف بغداد وسيلة للابقاء على السيطرة الغربية على المنطقة واستخدام الدول العربية كادوات لتحقيق اهداف الغرب . وفى الوقت نفسه سبب التعاون المصرى السوفييتى انزعاجا لدى اسرائيل

وبريطانيا وبخاصة بعد أن وقعت مصر ، فى سبتمبر عام ١٩٥٥ ، صفقة لشراء الاسلحة من تشيكوسلوفاكيا .

وفى ١٩ من يوليه عام ١٩٥٦ سحبت أمريكا عرضها لتمويل السد العالى وكان « دلاس » يعتقد أن سحب أمريكا لهذا العرض سوف يحقق غرضين ، احدهما انه سيدفع روسيا الى خوض غمار التنافس ضد أمريكا فى مساعدة الدول النامية ، مما سيكشف عن أن الجهود التى تبذلها روسيا فى ميدان المعونة هى من قبيل الدعاية ، لاعتقاد « دلاس » بعجز روسيا اقتصاديا عن الوفاء بوعودها .

والغرض الآخر هو اعطاء الدول الحيادية درسا فى انها لا تستطيع الاعتماد على المعونة الامريكية لتحقيق التنمية الاقتصادية فيها اذا كان هذا الحياد موجها ضد امريكا .

وفى ٢٦ من يوليو عام ١٩٥٦ أعلن الرئيس جمال عبد الناصر تأميم قناة السويس لاستخدام عائداتها فى بناء السد العالى ، وبذلك وقعت نتيجة العمل الذى قام به « دلاس » ليس فقط على رأس أمريكا . وانما ايضا على رءوس حلفائها وبخاصة بريطانيا التى انزعجت وخشيت أن تؤدى هذه الخطوة من عبد الناصر الى اضعاف نفوذ الغرب فى الشرق الاوسط وبخاصة بريطانيا التى تحتل مركز الصدارة فيما يتعلق بالنفوذ الغربى فى المنطقة . واعتقدت بريطانيا أن مصر سوف تستخدم القناة كأداة سياسية ، مع أن مصر اعلنت انها لن تمنع اية سفن من المرور فى القناة فيما عدا سفن اسرائيل .

وتطورت الأزمة حتى وقع الهجوم الاسرائيلى على مصر فى العام نفسه . وبعد مضى ٢٤ ساعة على بدء الهجوم الاسرائيلى تدخلت بريطانيا وفرنسا . ولكن أمريكا اعترضت على استخدام القوة ضد مصر . فعلى الرغم من اعتراض امريكا على سياسة الرئيس عبد الناصر فانها نظرت الى سياسته الخارجية باعتبارها

رد فعل ضد اسرائيل والاستعمار الغربي ، ورأت امريكا ان الهجوم الذى تعرضت له مصر هو بمثابة فرصة ذهبية لكسب صداقة مصر والعرب واظهار امريكا بأنهـا ليست موالية لليهودية كمـا يعتقد العرب ، ولكنها يمكنها ان تصبح موالية للعرب وان تساير الاتجاه المعادى للاستعمار فى جميع الدول النامية ، وان تساير بصفة خاصة المشاعر المعادية لاسرائيل والمشـاعر الوطنية فى العالم العربى . ولما تيقنت روسيا ان أمريكا لن تؤيد الهجـوم البريطانى الفرنسي بعثت بمذكرتين لبريطانيا وفرنسا تهددهما باحتمال تعرضهما للضرب بالصواريخ اذا لم تنسحبا من مصر ، كما هددت روسـيا اسرائيل بأن وجودها سينعرض للزوال ، وطلبت روسيا من امريكا ان تنضم اليها فى بذل الجهود لوقف القتال .

وقد اسفرت حرب السويس عن انهيار نفوذ بريطانيا فى الشرق الأوسط ودعم القومية العربية .

واول خطوة اتخذتها الولايات المتحدة ، بعد ازمة السويس ، هى وضع مبدأ ايزنهاور فى ربيع عام ١٩٥٧ الذى يعلن ان الولايات المتحدة تعتبر استقلال ووحدة أراضي دول الشرق الاوسـط امرا حيويا لسلامة امريكا ، وانها مستعدة لاستخدام القوة المسلحة لمساعدة اية دولة ، او دول ، تطلب المساعدة ضد العدوان المسلح من جانب اية دولة تسيطر عليها الشـيوعية الدولية . وكان من الصعب معرفة ما يعنيه هذا المبدأ ، فروسيا نفسها لاتجاور الا دولة عربية واحدة هى العراق التى كانت مرتبطة بحلف بغـداد وبحلف الاطلنطى ايضا عن طريق ارتباطها بتركيا وبريطانيا .

كما أن أمريكا لم تنظر الى علاقة مصر بالاتحاد السوفيتى على انها ستحول مصر الى دولة خاضعة للشيوعية والا لكانت قد ايدت الهجوم على مصر فى حرب السويس .

ولهذا لا يمكن ان يكون مبدأ ايزنهاور موجها ضد روسيا . ونظرا للجهود المستحدثة ، التي بذلها الرئيس عبد الناصر لتقويض نفوذ الغرب في الشرق الاوسط ، فقد لجأت أمريكا الى تعديل سياستها واعادة تفسير مبدأ ايزنهاور ، وبذلك اصبح لفظ « العدوان المسلح » لا يقصد به فقط العدوان المباشر من دولة على اخرى وانما يقصد به ايضا المحاولات التي تبذل لقلب المحاولات الموالية للغرب عن طريق الثورات الداخلية المؤيدة من الخارج . ولفظ « اية دولة تسيطر عليها الشيوعية الدولية » اصبح يسري على الدول ذات العلاقات الوثيقة مع الاتحاد السوفييتي .

وقد طبق مبدأ ايزنهاور لأول مرة في الأردن حينما تدخلت امريكا لانقاذ عرش « حسين » من السقوط في مواجهة المظاهرات الوطنية التي اجتاحت الأردن ، فاستخدمت الأسطول السادس في الضغط ، بأن نقلت بعض وحداته الى شرق البحر الابيض المتوسط ، ومنحت الاردن عشرة ملايين من الدولارات لدعم جيشها واقتصادها .

وبقيام ثورة العراق في الرابع عشر من تموز (يوليه) عام ١٩٥٨ ومسارعة الجمهورية العربية المتحدة بالاعتراف بحكومة الثورة وعقد اتفاق عسكري معها ، بدا ان القومية العربية تكتسح كل شيء امامها ، وان كل مركز الغرب في منطقة الشرق الاوسط على وشك الانحلال . حينئذ بدأت امريكا تلجأ الى القوة ، وقام الأردن ولبنان في ذلك الوقت بتطبيق مبدأ ايزنهاور ، وطلبا المساعدة العسكرية لمواجهة خطر الثورة العراقية وبخاصة ان لبنان تجتاحه الحرب الاهلية ، والأردن يتطور الموقف داخله من سيء الى أسوأ.

فارسلت بريطانيا قوات المظلات الى الأردن ، وارسلت الولايات المتحدة ١٤ الفا من مشاة البحرية الى لبنان. وكان المقصود بارسال هذا العدد الضخم من القوات الامريكية الى لبنان هو تحذير حكومة

العراق من تأميم الموارد البترولية الغربية . وقد سارع قاسم باعطاء تأكيد بأنه ليست لديه هذه النية .

وبعد قيام الثورة العراقية بعدة أشهر خرج العراق من حلف بغداد الذى اصبح يعرف باسم « منظمة الحلف المركزى » وانضمت امريكا بعد ذلك الى اللجنة الاقتصادية واللجنة العسكرية ولجنة مقاومة النشاط الهدام التابعة للحلف ، بالاضافة الى ارتباط امريكا باتفاقيات ثنائية دفاعية مع ايران وتركيا وباكستان الاعضاء فى الحلف .

اتحاد اوربا الغربية والسوق المشتركة :

رفضت فرنسا فى اغسطس عام ١٩٥٤ التوقيع على اتفاقية منظمة الدفاع الاوربى مما قضي بصورة مفاجئة على اساس الاستراتيجية الخاصة بحلف الاطلنطى وفكرة الاندماج الأوربى . ذلك لان منظمة الدفاع الاوربى كانت الوسيلة التى تكفل تزويد حلف الاطلنطى بقوات من المانيا الغربية من اجل تقوية خط الدفاع الاوربى على الارض .

ويرجع رفض فرنسا التوقيع على الاتفاقية الى خشيتها من أن تؤدى اعادة تسليح المانيا الى أن تصبح المانيا اقوى من فرنسا ذاتها مما يتيح لها السيطرة على القارة الاوربية . كما أن منظمة الدفاع الاوربى ستكون بمثابة خطوة نحو الاندماج فى اوربا . وهذا من شأنه أن يفصل فرنسا عن مستعمراتها فيما وراء البحار .

ورأت بريطانيا ، لحل مشكلة اعادة تسليح المانيا ، أن يعاد تعديل الاتفاقية بحيث تضم أيضا ايطاليا والمانيا ، واصبح التحالف الجديد باسم « اتحاد أوربا الغربية » وبمقتضاه تساعد الدول الأعضاء بعضها البعض اذا ما تعرضت احداها للهجوم .

والواقع ان اتحاد اوربا الغربية كان مجرد وسيلة لضم قوات المانيا الى حلف الاطلنطى وفرض قيود على المانيا بالاتصنع اية اسلحة ذرية كيماوية او بيولوجية ، أو صـــواريخ بعيدة المدى ، أو سفنا حربيةضخمة او انواعا معينة من القنابل والطائرات القاذفة للقنابل ، وبذلك اطمأنت فرنسا الى انها لن تترك يوما لتواجه وحدها القوات الالمانية .

وقد اصبح اتحاد اوربا الغربية قائما بصفة رسمية فى مايو عام ١٩٥٥ وبذلك دخلت جمهورية المانيا الاتحادية حلف الاطلنطى عن طريق اتحاد اوربا الغربية الذى يضم بريطانيا وفرنســا والمانيا الاتحادية وبلجيكا وهولنده وايطاليا ولوكسمبورج .

وفى أول يونيه عام ١٩٥٨ خطت دول اتحاد أوربا الغربية ، فيما عدا بريطانيا ، خطوة ضـــخمة من أجل تحقيق مزيد من الاندماج الاقتصادى والسياسي فى اوربا ، وذلك بأن اعلنت الدول الســـت انشاء السوق الاوربية المشتركة التى تســــتهدف تحقيق الوحدة الاقتصادية بين هذه الدول ، وأنشـــأت الدول الست أيضا هيئة اليوراتوم «أى المجمع الذرى لاوربا الغربية» للتعاون فيما بينها فى مجال تطوير وسائل استخدام الطاقة الذرية فى الاغراض السلمية وحتى تقلل من اعتماد اوربا على بترول الشرق الأوسط .

ومع اهتمام بريطانيا الشديد بهذه التطورات فانها لم تنضم الى السوق الاوربية المشتركة أو الى « اليوراتوم » لسببين رئيسيين هما : أولا ، روابطها الوثيقة بالكومنولث ، كما ان المصــالح الدولية لبريطانيا تتعارض مع اندماجها فى اوربا. والآخر : رغبتها فى الابقاء على وضعها الخاص كأوثق حليف لامريكا . ومن الملاحظ ان المنظمات

الوحيدة التى انضمت اليها بريطانيا هى المنظمات التى ارتبطت فيها امريكا بالتزامات تجاه اوربا . وفى أواخر عام ١٩٥٩ انشأت بريطانيا منطقة التجارة الحرة الاوربية مع سبع دول لتواجه بها السوق الاوروبية المشتركة . وقد فشلت محاولات امريكا لوقف الحرب الاقتصادية بين المجموعتين . وفى ذلك الوقت اخذت فرنسا تعلن عزمها على انشاء قوة ذرية خاصة بها حتى يكون لها صوت مستقل لصوت بريطانيا فى حلف الاطلنطى .

وقد سعت روسيا لتحطيم السوق الاوربية المشتركة لانها رات ان قيام « اوربا متحدة » يرفرف عليها الرخاء الاقتصادى وتتمتع بالاستقرار السياسي لن يقف فقط فى وجه التوسع السوفيتى نحو غرب أوربا ، وانما سوف يهدد أيضا الوجود السوفيتى فى اوربا الشرقية . وتلعب برلين الغربية دورا بارزا فى هذا المضمار ، اذ ان وجودها داخل اراضي المانيا الشرقية يجعل الاندماج الكامل لالمانيا الشرقية فى المعسكر الشيوعى امرا مستحيلا ، وهذا بدوره يؤثر فى الاستقرار السياسي لأوربا الشرقية كلها .

وبذلك اصبح استقرار مركز الاتحاد السوفييتى فى شرق ووسط أوربا يعتمد على عاملين : أولا الظفر باعتراف الغرب بالمانيا الشرقية . والآخر انسحاب الغرب من برلين الغربية وتحويلها الى مدينة حرة على ان يجرى ضمها بعد ذلك الى المانيا الشرقية عن طريق الضغط على اهالى برلين الغربية .

ولتحقيق هذا الهدف اعلن الاتحاد السوفيتى فى نوفمبر عام ١٩٥٨ انه يعتزم انهاء الاحتلال الرباعى لبرلين بعد ستة أشهر - وان يسلم الى المانيا الشرقية السلطة فى برلين الشرقية والاشراف على الممرات المؤدية الى برلين الغربية .

فاذا ما تمكن الاتحاد السـوفييتى من طرد الدول الغربية ، وخاصة الولايات المتحدة ، من برلين فانه سيتمكن بذلك من تمزيق حلف الاطلنطى ووقف نمو السوق الاوربية المشـتركة قبل أن يستفحل خطرها . فكان الانذار السوفيتى بمثابة تحـد ماهر جعل الولايات المتحدة تواجه أحد امرين : أما ان تسلم برلين الغربية او ان تخوض حربا شـاملة للدفاع عنها . وبمعنى آخر كانت أزمة برلين أخطر تحد واجهته السـياسة الخارجية الامريكية فى فترة ما بعد الحرب .

الباب السادس

(برلين وأزمة الانتقام الشامل)

الردع المتبادل والانتحار :

لا توجد سياسة يمكن اعتبارها سياسة أمريكية محضة مثل سياسة الانتقام الشامل التى وضعت لردع المعسكر الشيوعى ، وذلك بمد خط حول الاتحاد السوفييتى والصين ، والتهديد بتدمير موسكو او بيكين اذا ما قام الروس ، أو الصينيون ، بعبور هذا الخط. ومن نواحى القصور فى استراتيجية الانتقام الشامل انها لا تتيح للقوة العسكرية الامريكية أن تستخدم الا فى حالة وقوع هجوم سوفييتى .

وبذلك نجد ان الدبلوماسية الامريكية لا تستند الى القوة اللازمة لحمل السوفييت على اعطاء أية تنازلات فى المفاوضات التى تجرى لتسوية الخلافات الاساسية بين البلدين ، لأن السوفييت يدركون هذا القصور فى الاستراتيجية العسكرية الامريكية ويستغلونه . ولم يعد السوفييت فى حاجة للتوصل الى حلول وسط مع الغرب بشأن المشكلات القائمة بين الجانبين مادامت أمريكا لاتعتزم خوض حرب شاملة الا اذا تعرض امنها لخطر حقيقى .

وقد نشأ عن ذلك موقف متناقض فأمريكا على الرغم من انهما ظلت جيلا كاملا تحتكر القوة الذرية وتتفوق فى وسائل حمل المتنابل

الذرية والهيدروجينية فانها لم تتمكن من استخدام تفوقها هـذا في احداث تغيير يلائم مصلحتها في بعض مشكلات الحرب الباردة ، مثل مسألة تقسيم المانيا ، بل انهـا لم تردع السـوفييت عن القيام بالتوسع ، مستخدمين وسائل لا تبرر الحرب الشاملة ، كشن حروب العصابات وتدبير الانقلابات ، وتشجيع الحركات الوطنية المعادية للغرب .

وهكذا ثبت ، من الأزمات التي تواجهها الولايات المتحدة منذ عام ١٩٤٥ ، ان القوة الجوية الاستراتيجية التي تعتبر اداة لاستراتيجية الانتقام الشامل ، عديمة الجدوى ، فهي لم تتمكن من ردع الاتحاد السوفييتي ومنعه من التوسع ولم يحدث ان استخدمت الولايات المتحدة استراتيجية الانتقام الشامل في اية من تلك الازمات لانه لا حكومة ترومان ولا حكومة ايزنهاور ابدت رغبتها في اى وقت في اشعال نيران حرب ذرية شاملة . ومما اكد عدم جدوى هـذه الاستراتيجية ان الاتحاد السوفيتي احرز في خلال السنوات الاخيرة تقدما في زيادة ما هو مخزون لديه من الاسلحة الذرية التي يمكنها ضرب الاهداف فوق اراضي امريكا . ولم يعد اى من الجانبين يجرؤ على مهاجمة الطرف الآخر .

استراتيجية الانتقام الشامل وحلف الاطلنطي

رأت امريكا ان من الضروري ايجاد قوة مدرعة ضخمة في اوربا تتبع حلف الاطلنطي لتقوم بعمليات محدودة لاتصل الى الحرب الشاملة ، وبذلك يمكن رد الاتحاد السوفييتي ومنعه من شن الهجمات المحدودة . الا ان امريكا وبريطانيا وفرنسا والمانيا كانت قد خفضت من عدد قواتها الجوية الى حد كبير ، فتقرر ان تزود القوات المتبقية في حلف الاطلنطي بالاسلحة الذرية التكتيكية لسد النقص في عدد القوات . الا ان احتلال السوفييت لمثل هذه الاسلحة يؤكد ان استخدامها سيكون متبادلا ، ومن ثم فان استخدام حلف الاطلنطي

للاسلحة الذرية التكتيكية ، كبديل للتخفيضات التى اجريت فى عدد القوات ، اصبح امرا مشكوكا فيه .

التراجع فى برلين .

كانت مسألة برلين اذن ، كما قال الفرنسيون - بمثابة ازمة ثقة داخل حلف الاطلنطى ، فقد كانت حكومة ايزنهاور ، على مليبدو ، ترفض استخدام اية وسيلة لحماية برلين الغربية فيما عدا التلويح بقوة القيادة الجوية الاستراتيجية ، فقد كانت مقتنعة جدا بأن التهديد باطلاق قوة القيادة الجوية الاستراتيجية من عقالها سوف يردع الاتحاد السوفييتي ويمنعه من القيام بأية اعمال فى برلين ، لدرجة انها استبعدت احتمال وقوع حرب برية في اوربا ورفضت اجراء تعبئة جزئية او تعزيز القوات البرية لحلف الاطلنطى ، بل انها على العكس من ذلك قامت بخفض قوات الجيش ومشاة الاسطول . وقد اكد اديناور فى ذلك الوقت انه يجب على الغرب ان يتمسك بحقوقه والتزاماته فى برلين وحذر من أن اى اظهار لضعف الغرب فى برلين ستنتج عنه سلسلة من الاحداث التى تجر الخراب على اوروبا كلها ، اذ سيؤدى ذلك الى حل الروابط بين المانيا وأوربا الغربية ، وحل حلف الاطلنطى ، وسيطرة الاتحاد السوفييتى على اوربا .

وعارضت المانيا وفرنسا التباحث مع الاتحاد السوفييتي بشأن برلين ومشكلات المانيا بصفة عامة ، فى حين كانت بريطانيا تلح فى المطالبة باجراء هذه المحادثات لأن سياسة « الانتقام الشامل » الامريكية ستقع عواقبها على البريطانيين . وقد ظلت بريطانيا تشعر لعدة سنوات بأن السياسة الامريكية تتسم بالتصلب والاستعلاء . وابدى البريطانيون استعدادا اكثر من امريكا للتقرب من الروس فى محاولة للتفاوض معهم بشأن المسائل التى ادت لزيادة حدة الحرب الباردة ورات بريطانيا أنها ، لكى تدعم مركزها فى حلف الاطلنطى .

عليها أن تقوم بدور الوسيط بين الشرق والغرب ، والواقع أن أمريكا أخذت تقترب تدريجيا من الموقف الاكثر مرونة الذى وقفته بريطانيا . واخذت الولايات المتحدة تسعى للتخلص من العواقب التى جرتها عليها استراتيجية « الانتقام الشامل » وراحت تقدم التنازلات للسوفييت ، فبعد أن وجهت روسيا انذارها بشأن برلين اعلن « دلاس » أن أمريكا مستعدة للموافقة على وضع ممثلين من المانيا الشرقية فى مراكز التفتيش التى فى الممرات المؤدية الى برلين باعتبارهم وكلاء عن السوفييت . كما أعلن « دلاس » أن اعادة توحيد المانيا يمكن أن يتم بطرق أخرى غير اجراء انتخابات حرة فى المانيا ، وبذلك تخلت أمريكا عن الموقف الذى التزمته طويلا بشأن اعادة توحيد المانيا عن طريق الانتخابات الحرة . ووافقت أمريكا ، تحت ضغط بريطانيا ، على دعوة روسيا لعقد مؤتمر لوزارة خارجية الدول الكبرى للتمهيد لعقد مؤتمر الاقطاب فى باريس . وفى مؤتمر وزراء الخارجية تمسك الاتحاد السوفييتى بموقفه بشأن برلين ، فى حين تقدم الغرب بعدة تنازلات . فقد أذنت الولايات المتحدة لوفد يمثل المانيا الشرقية بحضور المحادثات ، وبذلك تراجعت بريطانيا والولايات المتحدة رغبة منهما فى حل أزمة برلين دون قيام حرب . وكان ذلك بمثابة خطوة نحو الاعتراف بألمانيا الشرقية على اساس الامر الواقع. وزيادة على ذلك تخلى الغرب عن مشروعه الخاص باعادة توحيد المانيا عند ظهور أول بادرة على اعتراض الاتحاد السوفييتى على هذا المشروع . ورفض السوفييت أن يجددوا تأييدهم لحقوق الحلفاء الغربيين فى برلين ، واكدوا اعتزامهم انهاء نظام الاحتلال . وفى الواقع لقد كان الغرب يرغب فى تعديل موقفه فى برلين والتقدم بتنازلات لعقد تسوية مؤقتة بشأن برلين مقابل سحب الاتحاد السوفييتى لتهديده المتعلق ببرلين الغربية ، وهكذا اضطرت أمريكا وبريطانيا الى اذلال نفسيهما من اجل الخروج من مشكلة « الانتحار او الاستسلام » التى أوجدتها الاستراتيجية الامريكية .

وقد ادى موقف التصلب من جانب خروشـــوف الى احداث انقسامات داخل الغرب ، وكلما تشدد خروشوف واخذ يهدد ارتفعت الاصوات فى الدول الغربية تطالب بالمرونة وبذل جهود جديدة للتفاهم مع الاتحاد السوفييتى بشأن المشكلة الالمانية كلها ، واخذ الاتحاد السوفييتى يحاول اقناع الرأى العام الغربى بأن اسباب التوتر الدولى الخطيرة ، ترجع الى موقف زعماء غربيين معينين ، وان من الواجب تغيير تلك السياسات البالية والخطيرة من اجل تخفيف حدة التوتر . واخذت بريطانيا ، وبخاصة صحفها ، تتهم أدناور بالتصلب فى موقفه فى حين اخذ الالمان يتهمون بريطانيا بالتساهل . كما فترت العلاقات بين المانيا وفرنسا الى حد كبير ، وبخاصة بعد رفض فرنسا انضمام بريطانيا الى السوق الاوربية المشتركة ، الا بناء على شروطها هى . واظهر ديجول واديناور شكوكهما فى اسلوب الابوة الذى تتبعه امريكا وخاصة بعد ان دعا ايزنهاور خروشوف لزيارة امريكا . وقد توصل ايزنهاور وخروشوف فى هذا الاجتماع الى اتفاق يقضي بأن تسحب روسيا تهديدها بالقيام بعمل انفرادى فى برلين مقابل موافقة امريكا على بحث مشكلات برلين والمانيا فى مؤتمر قمة بين الدول الكبرى . الا ان مؤتمر الاقطاب الذى عقد فى باريس فى مايو عام ١٩٦٠ نسف فى أول جلسة له ، كنتيجة لحادث اسقاط طائرة التجسس الامريكة « ى ـ ٢ » وهى تحلق فوق الاراضي السوفييتية ، فقد شن خروشوف هجوما عنيفا على ايزنهاور فى هذه الجلسة وطلب منه أن يعتذر عن هذا الحادث وعن حوادث التجسس السابقة التى قامت بها طائرات « ى ـ ٢ » فوق الاراضي السوفييتية ، وان يوقع العقاب على المسئولين عن هذه الاعمال . وكان ايزنهاور قد انكر ، حين اسقاط الطائرة ، انها كانت تتجسس ، ولكنه عاد فاعترف بأنها كانت مكلفة بالتجسس والتقاط صور لمناطق الحدود السوفييتية . وقال : ان امريكا ستواصل اعمال التجسس هذه حتى تحول دون تعرضها للهجوم المفاجىء .

فالولايات المتحدة بعدم رفضها للمقترحات السوفييتية والطريقة التى جعلت بها موقفها فى برلين موضوعا للتفاوض ، والاسلوب الذى اتبعته للتراجع دبلوماسيا ، والتنازلات التى قدمتها باسم المرونة ، كل هذا قد دل على افتقارها لقوة الارادة ، الامر الذى جعل مستقبل الغرب يبدو قلقا . وقد اكد « دين اتشيسون » وزير الخارجية الامريكية السابق ، ان اى اتفاق يعقد مع الروس بشأن مستقبل برلين سوف يفتح الباب امام استيلاء الشيوعيين عليها ، وقال : ان من السهل استخدام لفظ التفاوض للتغطية على الهزيمة . واكد ان قوة امريكا فى اوربا هى المعرضة للخطر فى برلين .

ثغرة الصواريخ

يقصد « بثغرة الصواريخ » احتمال تفوق الاتحاد السوفييتى فى ميدان الصواريخ الموجهة العابرة للقارات فى الفترة ما بين عامى ١٩٦١ و ١٩٦٥ وهو التفوق الذى لن يؤدى فقط الى شل القيادة الاستراتيجية عن العمل ، وانما يهدد بقاءها نفسه . وقد اعلن « نيل مكلروى » وزير الدفاع الامريكى ، عام ١٩٥٩ انه فى عام ١٩٦١ ستكون نسبة تفوق الاتحاد السوفييتى على الولايات المتحدة فى امتلاك الصواريخ الموجهة العابرة للقارات هى ٣ : ١ اى ان روسيا سيكون لديها ستمائة صاروخ فى حين سيكون لدى امريكا مائتا صاروخ من طراز « اطلس » وطراز « تيتان » ، واثبتت تقارير وكالة المخابرات الامريكية ان ثغرة الصواريخ هذه آخذة فى الاتساع ، وان الاعتماد على معدل الانتاج الحالى للصواريخ الامريكية سيزيد الثغرة اتساعا . ولكن الولايات المتحدة قررت الا تعمل على سد ثغرة الصواريخ هذه قبل ان تتوصل الى صنع الصواريخ التى تعمل بالوقود الصلب . فالصواريخ التى تعمل بالوقود السائل تحتاج الى وقت طويل حين اطلاقها ، كما انها توضع فى قواعد ثابتة معروفة مما يعرضها للهجوم المفاجىء ، مثلها فى ذلك مثل الطائرات القاذفة

للقيادة الجوية الاستراتيجية التى اصبحت معرضة للضرب وهى فوق الارض ، أما الصواريخ التى تعمل بالوقود الصلب مثل صواريخ « مينيتمان » فانها عملية أكثر من الناحية العسكرية ، ويمكن اطلاقها فى ثوان معدودة لانها تعمل بالوقود الصلب كما يمكن نقلها بسهولة الى أماكن مختلفة بل تزويد الغواصات بها ، مثل صواريخ « بولاريس » المتوسطة المدى . وقد بدات الولايات المتحدة عام ١٩٦٠ فى انتاج صواريخ الوقود الصلب على نطاق واسع لسد « ثغرة الصواريخ » ووضعت الاعتمادات لصنع ١٢ غواصة تعمل بالطاقة الذرية ، واكدت أمريكا أن قوتها الذرية الكاملة سوف تسد هذه الثغرة سدا تاما وتظل تردع الاتحاد السوفييتى .

وقد اعرب قادة القوات المسلحة الامريكية عن عدم ارتياحهم لهذا الوضع . لان الصواريخ الموجهة العابرة للقارات قد جعلت القوة التابعة للقيادة البحرية الاستراتيجية عديمة الجدوى الى حد كبير .

وعلى الرغم من أن انتاج الصواريخ العابرة للقارات قد جعل الهجوم المفاجىء يكاد يكون بلا فائدة بالنسبة للمعتدى . فان ماحدث هو ان هذه الصواريخ قد قللت فقط من احتمال وقوع الهجوم المفاجىء دون أن تقضي على هذا الاحتمال قضاء تاما . كما انه اذا ما اتسعت ثغرة الصواريخ . أو طور الاتحاد السوفييتى صواريخه وزاد من فاعليتها ودقتها فان هذا سوف يزيد من احتمال قيام روسيا بشن مثل هذا الهجوم المفاجىء ، ونجاحها فى ضرب القواعد الارضية للقيادة الجوية الاستراتيجية .

فغواصات (بولاريس الذرية) قد تكون اذن هى الوسيلة الاخيرة التى تلجأ اليها امريكا لسد ثغرة الصواريخ ودعم القوة الرادعة للولايات المتحدة . فهذه الغواصات الضخمة يمكنها حمل ١٦ صاروخا من طراز « بولاريس » وقد يمكن الاعتماد عليها فى أن تحل

محل القيادة الجوية الاستراتيجيه بطائراتها القاذفة للقنابل . فغواصات « بولاريس » تضع تحت الماء قوة امريكا القادرة على الانتقام الشامل ولا يمكن ضربها الا اذا حدث ذلك مصادفة . وربما تؤدى تلك الغواصات الى تحويل جانب كبير من الهجوم الذرى السوفييتى على الاراضي الامريكية الى البحر . كما انها ستوجد تعقيدات كبيرة أمام مشكلة الدفاع السوفييتى . وتعتزم الحكومة الامريكية بناء ٤٠ من هذه الغواصات لكى تستخدم عشر غواصات منها فى القيام بعمليات دورية مستمرة فى مواجهة ساحل أوراسيا لتوجيه ضربات مميته الى كل المدن السوفييتية التى تأوى كل منها اكثر من ٧٥ الف نسمة .

الا أن قوة غواصات « بولاريس » لم تكن لتستطيع أن تلعب دورا رادعا كبيرا قبل منتصف عام ١٩٦٠ وهنا تنشأ مشكلة . اذ ما النتائج التى سوف تترتب على افتقار امريكا لقوة دفاعية من الصواريخ الموجهة وتضاؤل قيمة التفوق الذى تحرزه امريكا فى ميدان الطائرات القاذفة للقنابل ؟ وما العواقب السياسية التى تترتب على امتلاك الاتحاد السوفييتى لقوة صاروخية متفوقة يمكنها تحطيم الطائرات الامريكية القاذفة للقنابل قبل أن تصل الى اهدافها ؟

ان الرد على هذا السؤال ينشعب الى ثلاثة اجزاء : —

اولا — ان التفوق الذى احرزته روسيا فى ميدان الصواريخ ، وما أعقب ذلك من تفوقها فى ميدان الاقمار الصناعية واكتشاف الفضاء الخارجى قد قضي على نفوذ امريكا واثار قلق حلفائها بشأن مقدرة أمريكا الدفاعية . وفى الوقت نفسه أوجدت انتصارات روسيا الضخمة فى ميدان الفضاء شعورا قويا بالثقة لدى الزعماء السوفييت مما قد يغريهم بمهاجمة الولايات المتحدة وتدميرها مره واحدة .

ثانيا ـ والخطر الثاني يكمن في أنه اذا لم يوجه السوفييت ضربتهم النهائية فانهم قد يحاولون استغلال تفوقهم واستغلال التهديد بشن هجمات شاملة من جانب الروس والصينيين بقصد الضغط على الغرب لتحقيق أهداف محدودة دون حاجة لخوض حرب فعلية . وهذا التهديد الذرى قد يدفع بالعالم الى خوض حرب عالمية ثالثة اذا ما اخطأت روسيا فى تقرير مدى جدية تهديدات أمريكا بالانتقام الشامل .

ثالثا ـ والخطر الثالث سوف ينشأ اذا ما قام السوفييت والصينيون باشعال حروب محدودة فى المناطق التى يجب على أمريكا أن تستخدم فيها قوات برية اذا ما أرادت كبح جماح التوسع الشيوعي ، وسوف تضطر امريكا حينئذ الى التراجع ، بصورة مطردة من المناطق التى كانت تعتبرها حيوية بالنسبة لسلامة امريكا، ذلك لأنها لن تستطيع الالتجاء الى الانتقام الشامل فى مواجهة تلك التحديات المحدودة . وستكون نتيجة ذلك أن تفقد أمريكا حلفاءها وأصدقاءها من الدول المحايدة التى ستحاول ضمان مستقبلها بالتوصل الى اتفاق مع روسيا والصين وتصبح أمريكا حينئذ معزولة .

ويمكن تجنب ذلك بأن تعد أمريكا وحلفاؤها قوات برية ضخمة مهيأة لخوض الحروب المحدودة ، وأن تكفل وسائل نقلها الى مناطق الاضطراب فى خلال ساعات معدودة من بدء العدوان لأن الاسلحة الذرية التكتيكية لا يمكنها أن تعوض عن نقص عدد القوات . فهذه الاسلحة لن تستخدم الا اذا استخدمها العدو ، كما انه ليس هناك بلد يرغب فى ان تستخدم الاسلحة الذرية فى الدفاع عنه ، لان معنى ذلك تدمير هذا البلد فى سبيل انقاذه من الشيوعية .

وان امتلاك الغرب لتلك القوات المجهزة لخوض الحروب المحلية المحدودة سيكون افضل ضمان لعدم نشوب تلك الحروب .

الباب السابع

(الدول المتخلفة وكفاح أمريكا من اجل البقاء)

مشكلات الدول المتخلفة :

كتب (جي بوكر) عالم الاقتصاد السياسي ، يقول : انه توجد الآن اربعة مراكز للقوة . أو فيها امكانيات القوة في العالم ، وهي الولايات المتحدة ، والاتحاد السوفييتي ، واوربا الغربية ، والصين الشيوعية . فالانتاج في المناطق الاربع يتزايد ، كما أن النظام السياسي في كل منها يساعد على عمليات الاندماج داخلها . فهذه المناطق يحتمل أن تصبح في مركز يمكنها من القيام بدور ضخم في الشئون السياسية والاقتصادية والثقافية الدولية في خلال الجيل القادم (يقصد جيل الستينيات) وعلى العكس من ذلك فاننا نجد أن مناطق الشرق الاوسط وجنوب شرقي آسيا وافريقية الاستوائية وامريكا اللاتينية معرضة لان تظل في فراغ خال من القوة في خلال هذه الفترة ، بسبب افتقار هذه المناطق للاستقرار السياسي ، وبسبب الركود الاقتصادي وافتقارها لعوامل الوحدة والانسجام الثقافي (١) .

---

(١) يغفل المؤلف هنا تيار القومية العربية الجارف وتوافر عوامل الوحدة والانسجام الثقافي في الدول العربية .

وهذا الفراغ يمد خطيرا لان الشـــيوعية ستحاول الزحف لشغله ، وتبذل روسيا والصين فعلا الجهود فى هذا السبيل ولذا فانه يجب على الولايات المتحدة أن تسارع الى ان يكون لها مركز السبق ، وأن تضع السياسة التى تمكنها من ايجاد مراكز قوة فى الدول المتخلفة فى آسيا والشرق الاوسط وافريقية .

وهذه الدول ، فيما عدا دول أمريكا اللاتينية قد بدأت تتخلص من الاستعمار الغربى منذ الحرب العالمية الثانية . كما أن مايميز شعوب تلك الدول ـ التى تشكل ثلثى تعداد سكان العالم ـ الفقر الشديد والأمية وسوء التغذية . فالتنمية الاقتصادية هى اذن الوسيلة الرئيسية لمواجهة هذه الاحوال السيئة . ولكن هل هذه الدول فى مركز يمكنها من أن تتقدم بوساطة مواردها الخاصة ؟ ان الرد يعتمد على : هل التقدم الاقتصادى لهذه الدول سيكون اسرع من نمو السكان فيها ، أو أن انفجار السكان سوف يلتهم اية زيادة فى الدخل القومى؟ . لقد اتضح ان الزيادة فى عدد السكان فى هذه الدول سوف يجعل المستوى باقيا على حالته فى افضل الظروف وأن ينخفض فى الحالات السيئة .

وبذلك نجد ان هذه الدول ستصبح امام مشكلة الجوع والفقر المدقع بصفة دائمة ما دام السكان فيها يتزايدون بسرعة تفوق سرعة ارتفاع مستوى المعيشة . ولسوء الحظ ان الظروف التى تواجه الدول المتخلفة مختلفة اختلافا تماما عن الظروف التى مر بها الغرب فى بداية تطوره ونموه ، ومن بين هذه الاسباب أن الغرب كان عدد سكانه صغيرا حينما بدأ حركة التصنيع ، وأن الزيادة فى السكان لم تسبق النمو الاقتصادى فى حين نجد الهند مثلا قد بدأت ثورتها الصناعية وعدد سكانها اربعمائة مليون نسمة . ومن المتوقع ان يتضاعف هذا العدد فى خلال الثلاثين عاما القادمة ، كما أن الدول الغربية كانت تعتمد على مستعمراتها فى تصريف الزيادة فى السكان .

وقد هاجر نحو ٦٠ مليون أوربى فى خلال القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين ، كما ان هذه المستعمرات زودت دول الغرب بالمواد الخام والايدى العاملة الرخيصة وبالاسواق لتصريف منتجاتها ، ولولا ذلك لكانت دول الغرب تعيش اليوم فى مثل الاحوال التى تعيش فيها الدول المتخلفة .

وفى الدول غير الصناعية ما زالت اغلبية السكان تعيش على الزراعة البدائية . وزيادة على ذلك فانه لاتوجد مساحات من الاراضى تكفى لتحقيق اى مشروع كبير للتوسع الزراعى .

والواقع انه لايمكن تحقيق الآمال المتزايدة للكتل البشرية التى هبت فجأة تطالب بأن تعيش حياة افضل ، وان تأكل كميات اكبر من الطعام . مالم يتم خفض معدل الزيادة فى المواليد . ذلك لأن ضغط الزيادة فى السكان يجعل الجماهير تعيش فى حالة تقرب من الكفاف ، وأن انتشار الفقر على هذه الصورة يجعل من الصعب ، ان لم يكن من المستحيل ، توفير رءوس الاموال اللازمة لتحقيق التنمية الصناعية ، اذ لا يمكن حمل الجماهير التى تعيش على الكفاف على ادخار المال لتوفير مبالغ كافية . ولا يمكن ايضا توفير رءوس الاموال عن طريق التجارة ، لأن المناطق المتخلفة لاتصدر الى الخارج الا المواد الخام او المواد الاولية ، مما يحد من قدرة هذه المناطق على الكسب لان تلك الصادرات تزيد وتقل تبعا لمدى الرخاء لدى الغرب . ففى فترة الكساد الاقتصادى التى مر بها الغرب عام ١٩٥٧ــ ١٩٥٨ قل طلب المواد الاولية وانخفض سعرها مما الحق خسارة جسيمة بالدول المتخلفة .

والاستثمارات الاجنبية هى المصدر الثالث لتوفير رءوس الاموال اللازمة للتنمية الصناعية . فاذا لم تتوافر رءوس الاموال هذه فان اقتصاديات الدول المتخلفة ستستمر فى الركود ، وقد تنخفض عن المستوى اللازم لتوفير القوت الضرورى . مما يفتح الطريق امام

استغلال الشيوعية لهذا الوضع . وحينئذ تتعرض بلاد الحلفة الشرقية واوراسيا وافريقية للغزو من الداخل ، ومن ثم تتعرض اوربا الغربية نفسها ، وهى شبه جزيرة مكملة لقارة اوراسيا . للخطر الشيوعى . وبذلك تصبح الولايات المتحدة معزولة استراتيجيا وتفقد امريكا العالم . وهى غائبة عن الميدان دون اطلاق رصاصة واحدة . كل هذا قد يحدث اذا ما كانت استجابة امريكا للتحديات القائمة فى الدول المتخلفة استجابة غير كافية .

مشروع مارشال للتنمية الاقتصادية :

ان اية سياسة تتبعها امريكا نحو الدول المتخلفة يجب ان تبدا بالاعتراف بأن مستقبل هذه الدول يلعب دوراً هاما فى الابقاء على كيان امريكا ذاتها ، ورات امريكا انه يجب عدم السماح للهوة القائمة بين الدول الغنية والفقيرة ان تزداد اتساعا ، وان يعاد تقسيم الثروة فى العالم .

وقد اتضح فساد نظرية التطور التى وضعها « داروين » فيما ذكرته هذه النظرية عن (الصراع من اجل البقاء) والبقاء للأصلح . وقد قام «هربرت سبنسر» بتعديل هذه الفلسفة . فاطلق عليها اسم « الداروينية » الاجتماعية . وقال ان الاغنياء نالوا الثروة لأن نجاحهم فى الصراع التنافسي قد بين انهم الاكثر صلاحية . وعلى العكس فان الفقراء وصلوا الى حالتهم هذه لانهم لم يصلحوا .

ولكن اتباع الفلسفة « الداروينية » الاجتماعية لم يسألوا انفسهم : هل قد اتيحت لكل شخص فى هذا الصراع فرص متساوية ؟ ولكن « الداروينيين » لم تكن لتعنيهم هذه الناحية اطلاقا . وهكذا ادت تلك التبريرات الفلسفية الى ازدياد الاغنياء غنى وازدياد الفقراء فقرا ان لم يؤد بهم الفقر الى الموت .

وقد أخذت المجتمعات الغربية الحديثة ترفض هذه الفلسفة اذ كيف يمكن تبرير الحكم على الناس بالفقر والبؤس مدى الحياة بغض النظر عن مدى الجهد والمشقة التى يبذلونها فى العمل . كما ان هذا التقسيم يدل على قصر النظر من الناحية السياسية ، والغباوة من الناحية الاقتصادية ، فمن الناحية السياسية نجد أن تقسيم الناس الى محظوظين ومعدمين لن يؤدى الا الى الثورة ، اذ تقوم الطبقات العاملة بقلب البورجوازيين . ومن الناحية الاقتصادية نجد ان سياسة اعتصار المال من اجل تحقيق اكبر ربح ممكن تعد سياسة غير سليمة ، لأنه كلما قلت الاموال التى لدى الناس ضعفت قدرتهم الشرائية ، اذن فالعدالة الاجتماعية هى افضل وسيلة من النواحى الاخلاقية والسياسية والاقتصادية .

وفى اواخر القرن التاسع عشر بدات الحكومات تتدخل لتعديل هذا الوضع وسن القوانين التى تكفل تحسين احوال العمال وتحقيق العدالة الاجتماعية . ولكن مشكلة التفاوت بين الفقير والغنى اخذت تنشأ بين الدول نفسها . فهناك الدول الغنية التى تزداد غنى والدول الفقيرة التى تزداد فقرا . فهل نجد اذن ان كهانة « ماركس » فى ان طبقة البروليتاريا التى تعانى من الاستغلال سوف تقلب البورجوازية ؟ هل نجد ان هذه الكهانة التى هزمت فى داخل الدول الاوربية ستعود الى الظهور فى المجال الدولى وتلحق بالغرب الهزيمة ، فتثور الدول الفقيرة التى تمثل « البروليتاريا » العالمية .

يحتمل أن يحدث ذلك مالم تقم الدول الغربية ، وبخاصة الولايات المتحدة ، بتطبيق مبدأ العدالة الاجتماعية على نطاق عالمى . وهو المبدأ الذى حقق نجاحا كبيرا فى داخل الدول الغربية ذاتها ان ذلك يقتضي وضع مشروع طويل الاجل وبذل الجهود الكبيرة لجعل المستوى الاقتصادى للدول المتخلفة يرتفع بصورة مستمرة الى ان تتمكن هذه الدول من الاعتماد على نفسها . ورات الولايات المتحدة

انها اذا أرادت أن تضمن الابقاء على كيانها هى فان من الضرورى ، الى أقصى حد ، وضع مشروع « مارشال » للدول المتخلفة . وقد اتضح من التقديرات التى وضعت ان الدول المتخلفة تحتاج كل سنة الى مبلغ يتردد بين مليارين وخمسمائة مليون دولار ، و ٣ مليارات وخمسمائة مليون دولار ، وتساهم فيه الولايات المتحدة بمبلغ يتردد بين مليار وملياريين من الدولارات سنويا ، واتضح أن هذا سوف يكلف الولايات المتحدة ، كحد اقصى ، مبلغا يتردد بين ٨ و ١٠ مليارات من الدولار اذا ما كان المشروع سيغطى اربع أو خمس سنوات .

فهذا المشروع من الناحية السياسية سوف يقف فى وجه الشيوعية التى تحاول استغلال الجوع والبؤس المنتشرين بين هذه الشعوب التى تشكل ثلثى سكان العالم . ومن الناحية الاقتصادية سوف يوسع هذا المشروع من نطاق الاسواق التى تستوعب منتجات الدول الغربية . ويجب أن تكون السياسة المتبعة تجاه الدول المتخلفة قائمة على اساس أن هذه المعونة تمنح دون اية شروط سياسية . وكانت المعونة الامريكية تقدم عادة مع افتراض أن الدول التى تتلقاها يجب أن تربط نفسها بسياسة الحرب الباردة التى تتبعها الولايات المتحدة الا ان برنامج المعونة الاقتصادية لا يمكن ان يحقق اهدافه مالم تقتنع الدول التى تحصل على المعونة بتلك الاهداف التى يجب ان تتلاءم مع الاماني التى تتطلع اليها هذه الدول .

والاماني الأساسية للدول المتخلفة هى ان توجه اهتمامها وتكرس طاقاتها للشئون الداخلية ورفع مستواها المعيشي ودعم استقلالها والتقليل من الزج بها فى الحرب الباردة ، ولهذا فانها تفضل أن تظل محايدة بين الغرب والكتلة الشيوعية . وان اية محاولات لاستخدام المعونة الامريكية ، كوسيلة لاجبار هذه الدول على الدخول فى نظام التحالف الامريكى ، سوف تفشل وتعوق تحقيق الهدف الذى تسعى اليه امريكا وهو تحقيق التنمية فى هذه الدول .

والدول المتخلفة بوقوفها موقف الحياد انما تفعل الشيء الذى فعلته امريكا فى الماضي . فبعد حصول امريكا على استقلالها ابتعدت عن الدخول فى اية احلاف وشغلت نفسها بالتطورات الداخلية فيها. وادركت انها ، باعتبارها دولة متخلفة . لن يكون لاستقلالها الذى حصلت عليه حديثا سوى قيمة ضئيلة مالم تحقق لنفسها القوة السياسية والاقتصادية . كما انها ، وقد تخلصت من الاستعمار ، ام ترغب فى الارتباط من جديد بالدول الاوربية حتى لا تتيح لها فرصة التدخل فى شئونها باعتبارها الطرف الاكثر ضعفا . كما ان ذلك من شأنه أن يقحم أمريكا فى المنازعات والحروب التى تخوضها الدول الاوربية ومعنى هذا أن تقيم امريكا فوق اراضيها منشآت عسكرية ضخمة تمتص راس المال الذى تعد فى امس الحاجة اليه من اجل نموها الاقتصادى فهذا هو تقريبا الوضع الذى تواجهه الدول المتخلفة فى الوقت الحاضر .

ولكن الدول المتخلفة تتوقع من امريكا مع ذلك ان تعمل على حفظ ميزان القوى فى العالم من اجل حماية استقلال هذه الدول اذا مارغبت امريكا فى الوقوف فى وجه مزيد من التوسع السوفييتى والصينى . وهكذا نجد ان سياسة عدم ربط الدول المتخلفة بالاحلاف ليست فقط سياسة حكيمة انما هى سياسة ضرورية من الناحية السياسية لانه كلما زاد الضغط لاجبار الدول المتخلفة على التحالف مع الدول الغربية اشتدت مقاومة هذه الدول لانها ترى ان من الضرورى بقاءها غير مرتبطة بالغرب ووقوفها موقف الحياد .

وهناك نقطة اخرى يجب على امريكا ان تراعيها ، اذ بدون اسهام امريكا فى تحقيق التغير الاجتماعى من حياة سيطرة الاقطاع وراس المال الى حياة تسودها العدالة الاجتماعية . لن يمكن تحقيق النمو الاقتصادى وخاصة بعد ان دخلت الكتلة الشيوعية والاتحاد السوفييتى بوجه خاص فى ميدان المعونة الخارجية اذ اخذت تقدم

قروضا ضخمة للدول التى تتمتع بمركز هام من الناحيتين الجغرافية والسياسية ، وهذه المعونة تجعل للشيوعية جاذبية لان الروس بتقديمهم هذه المعونة لايحاولون اجبار الدول المتخلفة على الانحياز الى جانب ما فى الحرب الباردة . مما يعطى شعورا بأن الروس يحترمون حياد هذه الدول فى حين نجد ان الولايات المتحدة تحاول استخدام المعونة الاقتصادية كوسيلة لاجبار الدول المتخلفة على التخلى عن حيادها والتحالف مع امريكا ومع الغرب ، مما جعل هذه الدول تخشى ان تكون السياسة الامريكية بمثابة شكل جديد للاستعمار تحاول فيه الولايات المتحدة استخدام هذه الدول عن طريق الاحلاف كمخالب فى الحرب الباردة .

وهكذا نجد أن الشيوعية تصبح مغرية لانه فى الوقت الذى يبدو فيه ان امريكا تمنح المعونة فى تباطؤ . ولتحقيق غرض واحد سلبى ، هو وقف الشيوعية ، فان الاتحاد السوفييتى يقدم المعونة لتحقيق مهمة ايجابية وهى التنمية الاقتصادية فى الدول المتخلفة بأسرع وقت ممكن وهو يضرب المثل بنفسه . اذ انه استطاع ان يصبح اقوى دولة صناعية فى العالم فى حين انه كان منذ ٤٠ سنة دولة متخلفة . والدول المتخلفة ترغب فى بناء كيانها الصناعى فى خلال جيل واحد فى حين أنها تنظر فترى ان التنمية الصناعية فى اوربا وامريكا استغرقت عدة اجيال . ونريد روسيا من الدول المتخلفة ان تفكر فى ان امامها ان تختار بين طريقتين لتحقيق التنمية الاقتصادية . اما الوسيلة الديموقراطية او الوسيلة التوتاليتارية (اى وسيلة احتكار السلطة الحاكمة لجميع موارد الدولة) فان فشلت الوسيلة الديموقراطية فى رفع المستوى الاقتصادى بالسرعة الكافية التى تكفل الاستجابة لآمال الجماهير . فانه يجب حينئذ اتباع الوسيلة الثانية . وهذا من شأنه ان يغرى بالتحول نحو الشيوعية مما سوف يخل بميزان القوى فى العالم الى حد خطير . ومما يزيد من هذا

الاحتمال هو اصرار بعض الولايات الامريكية على اتباع سياسة التفرقة العنصرية . ونظرا لأن سكان العالم فى غالبيتهم العظمى من الملونين فانهم ينظرون الى هذه السياسة على انها اخلال بالمبادىء الديموقراطية المتمثلة فى الحرية والكرامة والانسانية . وباختصار فان سياسة التفرقة العنصرية هذه تساهم فى ابعاد الدول المتخلفة عن الغرب .

وهنا يجب على امريكا الا تكتفى باتباع سياسة معادية للشيوعية وانما عليها ان تؤيد الآمال التى تتطلع اليها الحركات الوطنية الناشئة .

ان الولايات المتحدة لم تعد لتستطيع ان تعتمد بصفة اساسية على الناحية العسكرية فى كبح جماح الكتلة الصينية السوفييتية ذلك لأن الحرب الباردة فى المناطق المتخلفة هى اساسا صراع فى الميادين الاجتماعية والاقتصادية . وانه مالم تلتزم الولايات المتحدة بتحقيق المبادىء التى تنادى بها فى داخل الولايات المتحدة نفسها واذا ما فشلت فى محاولتها مساعدة المجتمعات الجديدة على انشاء حياة افضل فان الديموقراطية ستكون قد اخفقت فى مهمتها التاريخية . ومالم تتعلم الولايات المتحدة هذا الدرس المبدئى على وجه السرعة ومالم تستجب له بفاعلية فانها سوف تفقد العالم دون ان تشعر ، اى « تفقده غيابيا » .

الباب الثامن

(تركة الخمسينات)

نواحى القصور فى الديموقراطية الأمريكية

هل تستطيع الولايات المتحدة أن تتخطى القيم والتجارب الخاصة بها ، وأن تفعل ذلك بالسرعة الكافية ؟ أن هذه هى المسألة الشديدة الاهمية التى تواجه الولايات المتحدة فى جيل الستينات ، وان الرد على هذا السؤال سوف تعتمد عليه ، ليس فقط سلامة امريكا والغرب ، وانما بقاء العالم غير الشيوعى كله .

ان اللبرالية الامريكية تواجه فى الواقع ثلاث مسائل تتطلب اجوبة سريعة وهذه المسائل هى :

هل ستظل اللبرالية تعتبر السلم والحرب مسألتين مختلفتين اختلافا تاما ؟ هل تتخلى عن فصلها بين القوة والدبلوماسية ؟ واخيرا هل تستطيع اللبرالية أن تفهم الثورات الاجتماعية التى تحدث فى كثير من الدول المتخلفة ؟

فى الواقع أن المعتقدات والتقاليد القديمة لا يمكن التخلى عنها بسهولة ولكن العالم لن يقف فى انتظار امريكا كى تعدل من موقفها . ان التقاليد الامريكية سوف تجرفها نحو الكارثة .

فاللبرالية لا يمكنها ان تظل تنظر الى القوة على انها شر ، لان

هذا الموقف قد ابعد أمريكا عن اتباع سياسة القوة فى فترة السلم ، ولكن حينما تعرضت أمريكا للهجوم لجأت الى استخدام القوة وكان هدفها هو القضاء على سياسة القوة الى الأبد ونشر الديمقراطية ، ولهذا فان سياسة كبح الجماح التى كانت تتبعها حكومة ترومان نالت سخط الشعب الامريكى ، لأن حكومة ترومان زجت بأمريكا فى نزاع لم يتح للشعب الامريكى ان يعود للانشغال بشئونه الداخلية او أن يشن حربا شاملة للقضاء على الخطر الشيوعى واستئصال سياسة القوة الى الأبد ، فقد كانت حكومة ترومان تتبع سياسة « لا حرب ولا سلام » . وقد استجابت حكومة ايزنهاور ، التى جاءت بعدها ، لرغبة الشعب فى التخلى عن جانب من الالتزامات السياسية والاقتصادية ، وخفضت النفقات وخاصة النفقات الدفاعية .

وكان الطابع الذى ساد جيل الخمسينات هو طابع رغبة الشعب الامريكى فى التهرب من المسئوليات الدولية لتحقيق وسائل الرفاهية والمتعة فى الداخل وعدم الاهتمام بما يحدث فى الخارج ، حتى انه حينما اطلقت روسيا اول قمر صناعى فى الفضاء كانت شركة فورد موتور تعرض طرازا جديدا من السيارات من انتاجها .

وان الفصل أيضا بين القوة والدبلوماسية يضع العراقيل امام الولايات المتحدة فى نضالها ضد روسيا والصين . وفى عصر التعادل الذرى الذى نعيش فيه يجب على الولايات المتحدة ان تبحث عن وسيلة لاستخدام القوة بصورة تمكنها من تجنب الوقوع فى مشكلة « الانتحار او التساهل » . فيجب ايجاد انسجام بين السياسة والقوة .

واخيرا يجب على امريكا ان تواجه المشكلة التى أوجدتها امامها الثورات المعادية للاستعمار مادامت الولايات المتحدة نفسها قامت نتيجة لثورة معادية للاستعمار . وان مشكلة التعامل مع الدول التى

تمر بثورات اجتماعية تخلق معضلة فعلية أمام امريكا : فهل يستطيع شعب (ولد حرا) ان يفهم الشعوب التى مازالت تناضل من اجل حريتها ؟ وهل تستطيع دولة لم تمر بثورة اجتماعية ان تفهم دولا ، جوهر السياسة فيها هو الصراع الطبقى ؟ ان المقدرة العسكرية المتخائلة والاستراتيجية العسكرية غير المرنة ليستا وحدهما الوسيلتين اللتين يمكن ان تجعلا امريكا تفقد العالم . وانما ايضا عدم الاستجابة الكافية لاحتياجات الدول المتخلفة يمكنها ان تفقد أمريكا العالم . وفى الواقع ان هذا هو اكبر تحد تواجهه الليبرالية الامريكية .

أوهام العودة الى الاوضاع الطبيعية

فى بداية عام ١٩٦٢ أصبح على الولايات المتحدة ان تواجه حقائق هذا العالم المتمثلة فى الثورة الدائمة للشيوعية والثورة فى التكنولوجيا العسكرية . وثورة الآمال المتزايدة فى الدول المتخلفة ولا تستطيع الولايات المتحدة أن تتهرب من مواجهة هذه التحديات ، لان الثمن سيكون هو هلاك امريكا ذاتها ، ويقتضي ذلك ان تضع امريكا سياسة بعيدة المدى تلتزم بها .

ولكن هذا يتعارض مع القيم والتجارب الامريكية . فالشعب الامريكى لا يريد الا اتباع سياسة خارجية تستأصل الضرورة التى تستدعى وضع سياسة خارجية للمستقبل . وهذا ليس بغريب لان الامريكيين يعتقدون أن السلام هو الوضع الطبيعى للوجود ، وان كل المشكلات بما فى ذلك السياسة الخارجية يمكن حلها . وان من المفروغ منه أن الحرب الباردة سوف تنتهى ، واصبح الامر ليس هو ما اذا كانت تلك المشكلات سوف تحل ، فحلها أمر مفروغ منه ، وانما الامر هو : ما الوسائل التى تتبع لتحقيق ذلك ؟ وهناك ايضا ناحيتان من نواحى الوهم الامريكى اذ كان هناك راى يقول : ان هناك

أملا فى ان تتمكن الولايات المتحدة من تجنب اصدار القرارات وتقديم التضحيات التى تفرضها الحرب الباردة ، وذلك بأن يحدث انشقاق فى الكتلة الصينية السوفيتية وان تنضم الصين أو الاتحاد السوفيتى الى الغرب لتقف كل منهما فى وجه الأخرى . والوهم الآخر هو الاعتقاد بان التطورات الداخلية فى الاتحاد السوفيتى سوف تحوله من دولة توسعية الى دولة مجاورة طيبة لاترغب الا فى المحافظة على وحدة اراضيها واستقلالها السياسي .

وقد نشأ فى اواخر الخمسينات الاعتقاد المتعلق بحدوث انشقاق فى الكتلة السوفيتية الصينية نتيجة لاتجاه الصين بصفة مستمرة لتاكيد مساواتها بالاتحاد السوفيتى وانفرادها باتخاذ اجراءات مستقلة فى السياسة الخارجية . ولكن الخلافات التى تطرا بين الصين والاتحاد السوفيتى لا تشير الى حدوث انفصال فعلى بينهما فى المستقبل ، فالخلافات التى توجد بين الحلفاء شيء ، وحدوث انشقاق بين هؤلاء الحلفاء شيء آخر .

فمثلا لم يتحطم حلف الاطلنطى فى اثناء ازمة السويس حينما عارضت الولايات المتحدة ما قامت به حليفتها الرئيسية من دفاع عما اعتبرته مصالحها الحيوية .

ومن ناحية أخرى فان الناس لا يتحولون بسهولة عن معتقداتهم . هذا هو ما حدث فى الشيوعية كما هو الحال فى الديمقراطية .

وان الشيوعيين سيظلون شيوعيين . ولهذا فان التحدى الشيوعى سوف يبقى ، ليس هذا فقط — وانما لقد اصبح هذا التحدى اكثر خطرا مما كان عليه فى أى وقت مضي . انه تحد عالمى فى مداه ، وعسكرى وسياسي واقتصادى واجتماعى وايديولوجى فى وسائله ، وشامل فى اهدافه . وقد قال خروشوف للولايات

المتحدة : « اننا سوف ندفنكم » . ومن هنا نجد أن الاعتقاد بأن التغيرات سوف تحدث داخل الاتحاد السوفييتى وتؤدى الى تحويله من النظام الجماعى — أى نظام احتكار السلطة الحاكمة لكل موارد الدولة — الى النظام الديمقراطى ، هذا الاعتقاد سيظل يتميز به المجتمع الامريكى الذى يعتقد أن كل « سياسات القوة » هى مجرد ظواهر عرضية مؤقتة ، وانه يجب ان تعود الامور الى حالتها الطبيعية ، ان عاجلا أو آجلا ، وانه يمكن حل كل المشكلات اذا ما استخدمت الطرق الصحيحة فى ذلك .

ومن نواحى الوهم عند الامريكيين أيضا اعتقادهم بأن التصنيع يؤدى الى الديمقراطية ، اذ معنى هذا أن الاتحاد السوفييتى سوف يتحول الى الديمقراطية ويتبع نظام المعيشة الامريكية . ولكننا نجد ، مع ذلك ، أن النمو الصناعى لم يؤد الى الديمقراطية فى الولايات المتحدة أو بريطانيا . ولكن الأسس الديمقراطية فى كل من البلدين كانت موجودة قبل التصنيع ، بل ان التصنيع فى الغرب ادى ، فى مراحله الاولى ، الى الاستغلال والبؤس على نطاق واسع .

وفى الواقع هناك ثلاث حقائق لا يمكن لامريكا التهرب منها وهى تدخل جيل الستينات :

اولا — ليس هناك مهرب من مواجهه التحدى الشيوعى الممثل فى روسيا والصين .

ثانيا — مالم تغير الولايات المتحدة والغرب من أسلوبهما فى العمل الذى اتبعاه خلال الخمس عشرة سنة التى اعقبت الحرب العالمية الثانية ، فانهما سوف يفقدان الحرب الباردة — فالغرب لن يستطيع ان يتحمل حدوث تحول جديد فى ميزان القوى فى الفترة من عام ١٩٦٠ الى عام ١٩٧٥ .

وقد اثبتت تجارب التاريخ ان ستالين وخروشوف قد خططا بصورة أكثر حكمة من أجل تحقيق اهدافهما ونظما طاقاتهما بمهارة أكبر أخوض الحرب الباردة بصورة تفوق ما فعله زعماء الولايات المتحدة فالحقيقة الثالثة — التي لا يمكن التهرب منها — واضحة اذن تمام الوضوح : وهي ضرورة ايجاد زعامة امريكية جديدة وقوية .

مشكلة الزعامة الديمقراطية

اذا أرادت الولايات المتحدة ان تحسن من سياستها الخارجية فانه يجب عليها أولا ان تتخطى الحدود الفكرية التي فرضتها عليها القيم التي تؤمن بها والتجارب التي مرت بها في الداخل والخارج ، وان قدرتهـــا على تحقيق ذلك يعتمد على : هل الولايات المتحدة تستطيع ايجاد زعماء سياسيين او رجال دولة لا يفهمون فقط المشكلات التي يواجهها عصر الطاقة الذرية والثورة الاجتماعية وانما لديهم أيضا الشجاعة لابلاغ الشــــعب الامريكي ببعض الحقائق الصعبة ومطالبته بتوفير الجهود لمواجهة تحديات العصر ؟ وكمـــا قال المعقب السياسي الامريكي وولتر ليبمان :

« ان الاصوات التي ستخدم هذا البلد وتعمل على انقاذه هي اصوات الرجال ذوي الحزم الذين يطلبون بذل الجهود الشاقة » ، وان امثلة التاريخ تثبت لنا انه حينما تكرس الثروات من أجل الترف فان هذا يكون علامة اضـــمحلالها . وما لم يتوافر لأمريكا الزعماء الاكفاء فان مقبرة الولايات المتحدة سوف تحمل يوما ما هذه الكلمات: « هنا ترقد الولايات المتحدة ، فقد فقدت الحرب الباردة غيابيا لأن زعماءها أساءوا فهم طبيعة الزعامة الديمقراطية »

البَابُ التاسع

(الحدود الجديدة والديمقراطية الأمريكية)

الازمة : ضرورية للعمل الديمقراطى :

واجهت حكومة كنيدى اختبار الزعامة منذ اللحظـــة الاولى لتنصيبها فى يناير عام ١٩٦١ ولم يحدث لأية حكومة أمريكية فى القرن العشرين ، وربما فى التاريخ الامريكى كله ، ان واجهت مثل هذا التحدى حين بدء قيامها بمهام الحكم . ان الازمة هى ام العمل القومى ، وحينما تختفى الازمة فان الدولة الامريكية كانت تلجأ الى الدعة والراحة من جديد .

وفى عام ١٩٥٢ كانت أمريكا منهارة من المسئوليات الدولية التى القيت على عاتقها كدولة كبرى . وقد دفعت الروح الانعزالية الشعب الامريكى الى الاعتقاد بأن نزوله الميدان الدولى ســـيكون لفترة قصيرة وغير باهظ النفقات .

ولكن الحرب الباردة قضـــــت على الامل فى امكان تحقيق السلامة القومية بالتخلف عن خوض ميدان السياسة الدولية او عن طريق التدخل العسكرى لفترة قصيرة .

ولقد ثبت من ذلك فى وضوح ان الامن القومى لا يمكن تحقيقه بثمن بخس ، وبدون تقديم التضحيات التى لم يحدث فى التاريخ ان

طلب من امريكا تقديمها . ولكن حكومة ايزنهاور خضعت مع ذلك لرغبة الشعب الامريكى فى الركون للاستجمام والراحة من التوتر الدولى ، فلجأت الى التخفيف من التزاماتها السياسية والاقتصادية والعسكرية واكتفت بأن مدت خطا حول الكتلة السوفييتية الصينية وهددت الشيوعيين بالانتقام الشـــامل اذا ما عبروا هذا الخط . وكان تضاؤل الجهد الذى تبذله امريكا فى المحيط الدولى على هذا النحو مدعاة لتدهور مركز أمريكا فى العالم بصورة خطيرة .

ولما حل عام ١٩٦١ كان الاتحاد السوفييتى يتغلغل فى جميع المجالات : فى الفضاء الخارجى ، وفى آسيا والشرق الاوســـط وافريقية بل فى امريكا اللاتينية نفسها .

ودل الاستفتاء ، الذى اجرته احدى وكالات الاعلام الامريكية فى انحاء العالم فى صيف عام ١٩٦٠ ، على ان الاتحاد السوفييتى اصبح الدولة العالمية الأولى ، وان فشل امريكا فى تعبئة طاقات كافية لخوض الصراع قد ادى الى فقدان الثقة على مقدرتهـــا فى تولى زعامة العالم .

وحينما تولت حكومة كنيدى الحكم فى يناير سنة ١٩٦١ دعت الشعب الامريكى الى ان يدرك ان الحدود الجديدة للعمل فى مجالات الحرية والمســاواة وتكافؤ الفرص ، فى عصرنا الحاضر ، هى حدود العالم كله ، بعد ان كانت هـــذه الحدود ، فى الماضي ، هى حدود أمريكا الشمالية فقط . وقال كنيدى ان امريكا لا يمكنهـــا ان تحافظ على بقائها كمجتمع حر فى عالم تزهق فيه الحرية .

وكانت المشكلة الرئيسية التى واجهت كنيدى هى : كيف يمكنه أن يدعو الشعب الامريكى لخوض معركة لم توضح امام الشـــعب مدى التهديدات التى تتمثل فيها ، والسبب فى عدم ادراك الشعب لهذه التهديدات هو سياسة « لا حرب ولا سلام » التى اتبعتهـــا

الحكومة السابقة . واول ازمة اضطر كنيدى ان يواجهها دلت فى الواقع على عدم مقدرة الديمقراطية على العمل قبل أن تنشأ ازمة ما ، وعلى مدى فداحة الثمن الذى يجب على الديمقراطية أن تدفعه سياسيا واقتصاديا ونفسيا — كنتيجة لمعالجتها للأزمة بعد وقوعها.

كاسترو وتصدير « الفيديلزمو » (١)

بعد أن تولى كاسترو الحكم فى كوبا اول يناير عام ١٩٥٩ عقب اسقاط حكم «باتستا» الاستبدادى ، بدأ ينفذ المشروعات التى تستهدف تحسين الأحوال المعيشية للشعب الكوبى ، وكان لابد أن يصطدم مع امريكا فى تنفيذ مشروعات ثورته الاجتماعية بسبب سيطرة رأس المال الامريكى على مصادر الثورة الكوبية .

وكان كاسترو معاديا لامريكا بسبب سيطرة امريكا فى الماضي على كوبا وتأييدها المستمر لحكم باتستا لآخر لحظة ، وقد سرت حينئذ فى كوبا موجة من العداء الوطنى ضد أمريكا ، ونالت ثورة كاسترو تأييدا من الشيوعية وحصل كاسترو من الاتحاد السوفييتى على كميات ضخمة من الاسلحة وعدد من الفنيين . واخذ كاسترو يوثق علاقاته مع دول الكتلة الشيوعية .

وفى يناير عام ١٩٦١ قطعت أمريكا علاقاتها الدبلوماسية مع كوبا ، ولم تكن هناك أزمة تقتضي من امريكا التدخل العسكرى المباشر ولذلك نظمت أمريكا ومولت غزوا قام به المنفيون الكوبيون على أراضي كوبا بقصد اسقاط حكم كاسترو ، ولكن الغزو فشل وادى ذلك الى مزيد من التدهور لمركز امريكا فى العالم . وكان مركزها قد تدهور قبل ذلك باطلاق اول رجل سوفييتى الى الفضاء.

---

(١) الفيديلزمو : تنسب الى فيدل كاسترو رئيس حكومة كوبا وهى الأسلوب الاجتماعى الثورى الذى يتبعه كاسترو .

وقد وضعت خطط غزو كوبا فى خلال حكم ايزنهاور ، وجاء كنيدى فأعطى تأييده لهذه الخطط . ولما فشل الغزو كان هذا معناه أن كاسترو سوف يسعى الى تصدير «الفيديايزمو» الى انحاء أمريكا اللاتينية لانشاء حكومات معادية لامريكا هناك .

ومعنى هذا تسلل الشيوعيين الى امريكا اللاتينية عن طريق كوبا واندماجهم فى الحركات الوطنية المنطلقة الى تحقيق الآمال القومية والعدالة الاجتماعية . واحتمالات نجاح التغلغل الشيوعى تكمن فى عدة عوامل هى : شعور الاستياء بسبب تدخل أمريكا عدة مرات فى العصور الماضية فى منطقة الكاريبى وأمريكا الوسطى — واستثمار رءوس الاموال الفردية الامريكية على نطاق واسع وفرض السيطرة الاقتصادية على جانب كبير من اقتصاديات أمريكا اللاتينية — وتأييد امريكا المستمر للقلة من الأغنياء فى أمريكا اللاتينية ، الذين يربطون انفسهم عادة براس المال الامريكى ويسعون للمحافظة على مراكزهم بانشاء دكتاتوريات عسكرية يمينية متجاهلين المساوى الاجتماعية فى البلاد — وهناك اخيرا الفقر المدقع والبؤس المشترك والامية المتفشية والجوع المستمر الذى تعانى منه غالبية الجماهير التى لا تملك شبرا واحدا من أراضي بلادها .

وهكذا نجد أن شعوب أمريكا اللاتينية تشارك شعوب الدول المتخلفة فى التطلع الى هدفين هما تحقيق حياة أفضل لجماهير الشعب الساخطة ، والرغبة فى التحرر من الحكم الاستعمارى ، الذى تمثله الولايات المتحدة فى امريكا اللاتينية .

ولكن امريكا لا تمارس سيطرتها الاستعمارية عن طريق الحكم السياسي والعسكرى المباشر وانما عن طريق التحالف مع الارستقراطيين والاغنياء المحليين والطبقة الحاكمة المحظوظة . وهذا ربما اعطى الامريكيين شعورا ذاتيا بانهم يراعون العدالة ويسيرون فى الطريق السوى ، لانهم لم يلطخوا انفسهم بعار

الاستعمار الاوربى التقليدى . ولكن هذا لم يحدع شعوب دول امريكا اللاتينية التى تحولت الى منطقة نفوذ للولايات المتحدة تعتمد فى معيشتها على ما تصدره لامريكا من محصولات زراعية ومواد خام وتخضع لرغباتها السياسية وفى هذه الظروف فان مدى نجاح « الفيديلزمو » وانتشارها يعتمد على عاملين : الاول : هل حكومات امريكا اللاتينية سوف تجرى الاصلاحات التى تحد من استئثار المحظوظين بثروات البلاد وخيراتها ؟

والعامل الثانى : هو مدى فاعلية السياسة التى تتبعها امريكا من اجل ازالة السخط الشعبى فى امريكا اللاتينية ضدها : وهل امريكا سوف تتمكن من تأييد الحركات اليسارية غير الشيوعية ؟ وكذلك : هل الحكومات الامريكية سوف تغذى اقتصاديات امريكا اللاتينية بمليارات الدولارات التى ترفع من المستوى المعيشي لشعوبها ؟

فان لم يحدث هذا فان المستوى المعيشي لهذه الشعوب سوف يستمر فى التدهور فتقوم الثورات فيها ، مما يؤدى الى ابتعاد دول امريكا اللاتينية ابتعادا تاما عن الولايات المتحدة .

ان الولايات المتحدة يمكنها فى اى وقت استخدام العمل العسكرى من اجل القضاء على كاسترو ، ولكن القضاء على كاسترو لن يستأصل « الفيديلزمو » من امريكا اللاتينية ، فكاسترو اصبح رمزا لآمال شعوب امريكا اللاتينية فى حياة اجتماعية افضل وفى تحقيق السيادة القومية . وهذا يتطلب من امريكا ان تقلل من استخدام سياسة القوة ، وان تزيد من جهودها فى ميدان السياسة الاجتماعية .

الكونغو والحرب الباردة فى افريقية

تواجه حكومة كنيدى أيضا تحديات فى افريقية التى تعد ثانى القارات الكبرى فى العالم وجزءا لا يتجزأ من جزيرة العالم التى تحدث عنها ماكيندر (١)

والمشكلة الكبرى التى توجدها افريقية امام كنيدى هى التاريخ الاستعمارى والأوضاع السياسية المتخلفة وعدم الاستقرار السياسى والصراع السياسى بين المستوطنين البيض والسكان الأصليين ، وبخاصة فى جنوب افريقية ، كل ذلك ادى الى ايجاد ظروف ملائمة يستغلها الشيوعيون لربط انفسهم بالحركات الوطنية الافريقية . وقد اخذ الاتحاد السوفيتى يقدم المعونات العسكرية والاقتصادية والفنية لعدد من الدول الافريقية .

وقد خاضت أمريكا الصراع من أجل افريقية حينما استقل كونغو « ليوبولدفيل » عن بلجيكا فى ٣٠ من يونيو عام ١٩٦٠ وتولى « باتريس لومومبا » زعيم الحزب الوطنى رياسة الوزارة وتولى « كازافوبو » رياسة الجمهورية . ولكن مالبث الكونغو ، بعد أيام قلائل من استقلاله ، أن وقع فى الاضطرابات ، فقد أعلن تشومبى ، حاكم اقليم كاتانجا ، انفصال هذا الاقليم عن الكونغو .

وكاتانجا تعد أكبر مصدر للعائدات التى يتحصل عليها الكونغو من صادرات كاتانجا من النحاس والكوبالت .

وأيد تشومبى فى هذه الخطوة أصحاب المصالح البلجيكية التعدينية القوية . وفى الوقت نفسه بدأ جيش الكونغو يثور ويطالب

---

(١) هالفورد ماكيندر : هو عالم الجغرافية السياسية الانجليزى وهو يقصد بجزيرة العالم أوراسيا وافريقيا ، ويقول ان من يحكم جزيرة العالم فانه يسيطر على العالم (راجع الباب الأول) .

باستبدال ضباطه البلجيكيين بضباط وطنيين ، اذ لم يكن في الكونغو لدى استقلاله ضابط كونغوي واحد ، كما لم يكن به سوى ١٥ من خريجي الجامعة . وحينئذ ارسلت بلجيكا قوات مظلاتها الى الكونغو لحماية مصالحها . فطلب لومومبا من الأمم المتحدة مساعدته ضد التدخل البلجيكي . وهنا دخلت الحرب الباردة أرض الكونغو . فقوات الأمم المتحدة لم تجبر بلجيكا على سحب قوات المظلات ولم تستجب لطلب لومومبا فيما يتعلق بمساعدته في استعادة سيطرته على كاتانجا .

وهنا بدأ لومومبا يهاجم همرشلد ويتهم بلجيكا والدول الغربية وبخاصة الولايات المتحدة ، بالتآمر ضده وطلب لومومبا من الاتحاد السوفييتي مساعدته في منع تمزق وحدة الكونغو وزودته روسيا بالتأييد الدبلوماسي والعسكري كما أولته عدة دول محايدة ، وبخاصة الجمهورية العربية المتحدة وغينيا وغانا ، تأييدها ومساعدتها .

وقد أعلن البرت كالونجي ، حاكم اقليم جنوبي كاساي ، انفصال الاقليم عن الكونغو وأعلن كازافوبو طرد لومومبا من رياسة الوزارة وتعيين جوزيف ايليو رئيسا للوزارة . ولكن لومومبا أعلن بدوره طرد كازافوبو من منصبه . وجاء الكولونيل موبوتو ، قائد الجيش ، فأعلن الغاء طرد أي من لومومبا أو كازافوبو ، وشكل حكومة انتقالية من خريجي الجامعة وطرد كل ممثلي الاتحاد السوفييتي في الكونغو .

وقد أصر الاتحاد السوفييتي على أن لومومبا هو رئيس الوزراء الشرعي للكونغو ، ولكن الولايات المتحدة أخذت تؤيد موبوتو واعتبرته أفضل أداة لاستئصال نفوذ تشومبي في الكونغو وربما أيضا للقضاء على التغلغل الشيوعي المحتمل في قلب افريقية . وحينئذ بلغت الخلافات الامريكية السوفييتية في الكونغو مرحلة

مريرة . وقد طالبت روسيا فى ذلك الوقت باستقالة همرشولد وتعيين سكرتيرية ثلاثية للأمم المتحدة تضم عضوا من الشرق وآخر من الغرب وثالثا من مجموعة الدول الحيادية . واشتد هجوم روسيا على الأمم المتحدة حين مصرع لومومبا فى فبراير ١٩٦١ وطالب بانسحاب قوة الأمم المتحدة من الكونغو ، واعلن انه ان يعترف الا بحكومة انطوان جيزنجا ، خليفة لومومبا ، كحكومة شرعية . وقد اثار ذلك مخاوف امريكا من ان يمد الاتحاد السوفييتى الى بناء جيش جيزنجا وجعله جيشا موالیا الشيوعية ليصبح قوة ضاربة معادية للغرب . وذكرت الانباء فى ذلك الوقت ان الامدادات العسكرية أرسلت الى جيزنجا عن طريق احدى الدول العربية . وقد هدد الرئيس كيندى حينئذ بأن الولايات المتحدة لا يمكنها ان تتحمل هذا التدخل من جانب روسيا او الدولة العربية .

جنوب شرقى آسيا والهزيمة فى لاوس

وجدت السياسة الخارجية الامريكية نفسها تواجه من جديد عام ١٩٦١ عواقب سياسة « حافة الحرب » الخطيرة التى اتبعت فى الهند الصينية من قبل وادت الى الاتفاق على تقسيم فيتنام ، وتحييد لاوس وكمبوديا ، وانشاء لجنة مراقبة دولية للاشراف على تنفيذ الاتفاق . واجهت امريكا عواقب هذه السياسة فى لاوس . وكانت لاوس منقسمة منذ البداية الى ثلاث فئات : حيادية ، وشيوعية ، « باثيت لاو » وموالية للغرب . وقد شكل الامير « سوفانا فوما » زعيم الفئة الحيادية ، حكومة ائتلافية هناك ، واخذ يعمل على تحقيق وضع حيادى مستقل فى لاوس بحيث لاترتبط بالاحلاف او باية من الكتلتين الامريكية والشيوعية ، ولكن سوفانا فوما سرعان ماقدم استقالته واتهم جماعة « باثيت لاو » الشيوعية بسوء النية واعقب ذلك سيطرة الفئة الموالية للغرب على الحكم ،

فسارع ايزنهاور بدعم هذه الفئة وتزويدها بالمساعدات الاقتصادية والعسكرية ، ولكن « كونج لى » قائد القوات الحيادية قلب هذه الحكومة وأعاد الأمير « سوفانا فوما » الذى شكل حكومة ائتلافية من جديد من أجل انهاء الحرب الاهلية فى البلاد . ولكن امريكا شعرت بقلق لاعتقادها بأن « سوفانا فوما » يعتمد على قوات « باثيت لاو » فى منحه التأييد والمساندة ، فقامت أمريكا بتزويد قوات « فومى فوسافان » الموالية للغرب بالاسلحة والمساعدات ، فبدأ زحفه من الجنوب نحو العاصمة « فيينتيان » وتمكن من قلب حكومة « سوفانا فوما » من جديد وعين الامير « بون اوم » الموالى للغرب ، رئيسا للوزارة . وهناك أعلن الاتحاد السوفييتى انه لايعترف الا بحكومة « سوفانا فوما » كحكومة شرعية للاوس ، وبدأ يرسل الامدادات العسكرية الى قوات « باثيت لاو » الشيوعية التى سارعت باحتلال ثلاثة أقاليم من لاوس على حدود الصين .

وهكذا وجد الرئيس الامريكى كيندى نفسه ، حين توليه الحكم ، فى موقف لايحسد عليه ، فهو اما أن يتجنب التدخل فى لاوس ويترك منطقة جنوب شرقى آسيا كلها للاضطرابات ، او ان يتدخل فى هذه المنطقة التى لا تصلح الا لحرب العصابات التى تفوق فيها الشيوعيون ، واما كيندى الى حل وسط ، فنبذ سياسة ايزنهاور القائمة على تنصيب حكومات موالية للغرب فى لاوس ، وأعلن ان هدف أمريكا هو ايجاد لاوس مستقلة ومحايدة فعلا . وقد دعت بريطانيا فى ذلك الوقت الى وقف اطلاق النار على لاوس واحياء لجنة الرقابة الدولية لتشرف على الهدنة هناك ، وفى الوقت نفسه كانت قوات « باثيت لاو » الشيوعية تحرز الانتصارات المستمرة .

والواقع ان الاقتراح البريطانى كان بمثابة اجراء لجأت اليه بريطانيا وأمريكا لانقاذ ماء وجهيهما بعد ان تهربت امريكا من خوض

حرب محدودة فى لاوس لعدم استعدادها لخوض هذا النوع من الحروب وبخاصة حرب العصابات . كما كان هناك احتمال لتدخل الصين فى الحرب بقوات ضخمة . وبذلك يتكرر الوضع الذى كان قائما عام ١٩٥٤ ويصاب الغرب بهزيمة أخرى سياسية ونفسية . واثبتت هذه التطورات عدم مقدرة حلف جنوب شرقى آسيا على حماية لاوس بعد أن اخفقت أمريكا ، فى عهد ايزنهاور وعهد كيندى ، فى الوفاء بالتزاماتها . ولم يكن ذلك فقط دافعا للشيوعية للتقدم الى الامام وانما زاد أيضا من عدد الاصوات المطالبة بالحياد فى باكستان وتايلاند بسبب عدم مقدرة امريكا على حماية المنطقة .

وهكذا ثبت من جديد أن القوة الذرية الهائلة للقيادة الجوية الاستراتيجية عاجزة عن القيام باى عمل فى ظروف تقل عن الحرب الشاملة ، مما أصاب السياسة الخارجية الامريكية بهزيمة جديدة . واذا ماسارت السياسة الخارجية الامريكية على هذا المنوال فان سقوط فيتنام الجنوبية وتايلاند فى ايدى الشيوعيين سيكون مسألة وقت . وحينئذ يزداد الضغط الشيوعى على الملايو واندونيسيا وبورما والهند .

برلين واعادة بناء القوة الامريكية

كان من المؤكد أن السوفييت سوف يثيرون مشكلة برلين من جديد بعد أن تتولى حكومة كيندى السلطة ، فقد كان خروشوف مقتنعا بأن ميزان القوى الدولى يتجه لمصلحته وبخاصة بعد هزيمة الغرب فى كوبا ولاوس ، الامر الذى يشجع خروشوف على السعى من أجل الاستحواذ على برلين الغربية . ففى كوبا رفضت أمريكا استخدام قواتها العسكرية على الرغم من فشل محاولة الغزو التى دبرتها امريكا ونظمتها وقام بها المنفيون الكوبيون ، وفى لاوس

رفضت امريكا تأييد اقوالها بالاعمال الايجابية على الرغم من تهديداتها المتكررة بالتدخل .

وفى مواجهة هذا الموقف اراد كيندى أن يجتمع مع خروشوف كى يحذره من عواقب الاندفاع فى برلين . ويبلغه ان هزيمة الغرب فى كوبا ولاوس لا تعنى أن الولايات المتحدة ليست قوية . و انها لن تستخدم قوتها لحماية مصالحها الحيوية فى برلين او فى اى مكان آخر فى العالم ، ولهذا فانه يجب على رئيس الوزراء السوفييتية أن يكون على حذر من اساءة تقدير الموقف . لانه ان فعل ذلك فسوف يدفع بالعالم نحو الحرب الشاملة . واعلن كيندى ان الغرب مصر على الدفاع عن برلين الغربية . ولكن خروشوف رد على ذلك بأن جدد مرة أخرى تهديده بتصفية الوضع فى برلين فى خلال ستة اشهر ، أى قبل نهاية عام ١٩٦١ ، فى محاولة منه لاختبار مدى العزم الذى يتمتع به كيندى .

وهذا التحدى الجديد من جانب خروشوف لم يكن ليدعو الى الدهشة . لأن خروشوف كان يدرك ادراكا تاما أن الاستراتيجية الامريكية التى تعد نتاج المواقف التى وقفتها امريكا تجاه « سياسة القوة » تصيب الدبلوماسية الامريكية بالشلل فى حين نجد أن التوسع السوفيتى المحدود ، وغير المباشر ، قد حقق نجاحا فى مناطق مختلفة وبخاصة فى آسيا . وخروشوف انما يجرب هنا ، فى قلب أوربا الطريقة التى اختبرت ونجحت من أجل تحقيق هدفه فى حل حلف الاطلنطى ، الذى يعتبر درعا لامريكا ، وعرقلة الاتجاه نحو تحقيق أوربا القوية المتحدة .

وكان رد كيندى على الازمة المتجددة فى برلين مماثلا لرد ايزنهاور على هذه الازمة من قبل ، كما يختلف عنه فى الوقت نفسه . فقد أعلن كيندى هو ايضا رغبته فى التفاوض بشأن برلين ، ولكنه

اوضح انه ليس على استعداد لان يبحث الوسيلة التى ينسحب بها الغرب من برلين .

وفى ١٣ من اغسطس عام ١٩٦١ بنى الشيوعيون الجدار الفاصل بين برلين الشرقية وبرلين الغربية ، ولكن الغرب لم يقم بعمل مضاد تجاه هذا الاجراء الذى يعد انتهاكا لوضع الاحتلال الرباعى فى برلين . وكان موقف عدم التصرف هذا من جانب الغرب دليلا جديدا يؤكد لخروشوف انه يستطيع ان يضغط على حلف الاطلنطى بالتدريج حتى يحمل الغرب على الانسحاب من برلين .

وعلى العكس من ايزنهاور لجأ كيندى الى مواجهة التوتر فى برلين بزيادة القوة العسكرية الامريكية . فقد أراد كيندى أن يثبت لخروشوف انه كان جادا حينما اعلن اعتزامه الدفاع عن برلين الغربية . واول خطوة لجأ اليها كيندى هى التقليل من « انكشاف » القوة الجوية التابعة للقيادة الجوية الاستراتيجية ، والتقليل من فرص تعرضها للدمار وهى على الارض فى حالة الهجوم المفاجىء الذى قد يقع نتيجة لتفوق السوفييت على امريكا فيما لديهم من الصواريخ . ويمكن تحقيق ذلك بجعل نصف عدد الطائرات القاذفة للقنابل التابعة للقيادة الجوية الاستراتيجية فى حالة استعداد دائم فى المطارات . ورأى كيندى أن الوسيلة الثانية لدعم قوة أمريكا العسكرية وضمان سلامتها هى الاسراع فى تنفيذ برنامج بناء غواصات « بولاريس » التى تعمل بالطاقة الذرية ، ويقضى البرنامج بصنع ٤١ غواصة ذرية مزودة بالصواريخ ، وبذلك تكون قوة الغواصات هذه غير معرضة للضرب ، مما يمكن امريكا من تحمل الهجم المفاجىء من جانب روسيا ، وهى محتفظة بقوة كافية لتوجيه ضربات انتقامية نحو روسيا تكفى لتدميرها تدميرا تاما .

واتجهت الحكومة ايضا الى زيادة مقدرة امريكا على خوض

الحروب المحدودة بالاسلحة التقليدية . وذلك باعادة تنظيم فرق الجيش وزيادة عدد القوات وتطوير الاسلحة غير الذرية ، ودعم امكانيات النقل الجوى وتزويد البحرية « بقوات الطوارىء » التى ترسل الى مناطق الاضطرابات اول الامر ، على أن يتدخل الجيش بعد ذلك . كما كلف الجيش بمهمة اعداد قوات خاصة مدربة على حرب العصابات ، وبذلك اتجهت الحكومة الى اعادة تنظيم القوة العسكرية لامريكا على أساس وظيفى : فتصبح هناك قوة لخوض الحرب الشاملة ، وقوة اخرى لخوض الحروب المحدودة .

وحصل كيندى على تفويض من الكونجرس يتيح له استدعاء ٢٥٠ الفا من قوات الاحتياط للخدمة لمدة عام ، كما أن لديه سلطة استدعاء مليون من القوات الاحتياطية للخدمة العسكرية العاملة فى حالة اعلان الطوارىء .

وقامت الدول المتحالفة مع امريكا ، وبخاصة بريطانيا والمانيا الغربية وفرنسا ، بدعم قواتها . وازداد حجم قوات الحلفاء الى ٢٥ فرقة بعد أن كان ٢١ فرقة . والهدف من هذه الزيادة فى قوة الغرب هو تمكين حلف الاطلنطى من الرد فى مرنة على الاعمال التى يقوم بها السوفييت ؛ وبذلك أصبحت استراتيجية الانتقام الشامل هى الحل الاخير الذى يطبق بعد ان كانت هى الخطوة الأولى والوحيدة التى تتبع .

ولكن كيندى لم يحصر جهده فى الاستعداد للرد الدبلوماسى والعسكرى فى أوربا وحدها . فقد كان كيندى يدرك ان خروشوف مقتنع بأن القوة والنفوذ الدوليين للغرب يتضاءلان بسرعة نتيجة للثورة المعادية للاستعمار والفرصة التى تتيحها هذه الثورة للشيوعيين لاستغلال الشعور الوطنى المعادى للغرب والآلام الاجتماعية التى تعانى منها شعوب المناطق المتخلفة . واصبح من الضرورى جدا بذل الجهود الكبيرة لمساعدة الدول المتخلفة على

تحقيق مجتمعات اكثر استقرارا ورضاء ، وان تتمكن من الوقوف على قدميها حتى لاتصبح عرضة للتأثر باغراءات السوفييت . ولهذا فقد وقع كيندى على معاهدة تقضى بانضمام أمريكا الى منظمة التعاون الاقتصادى والتنمية ، كما حث على اعادة النظر من جديد فى مشكلة المعونة الخارجية كلها بصورة تجعل هذه المعونة قادرة على تحقيق التنمية الاجتماعية والاقتصادية فى الدول المتخلفة ، وذلك بأن تقدم هذه المعونة فى صورة اتفاق تلتزم بموجبه أمريكا تقديم المعونة لفترة خمس سنوات على الاقل ، ولكن المعونة الامريكية فى الواقع مرتبطة بشروط سياسية ، فأمريكا تشعر ان المعونة يجب ألا تقدم الا للدول التى ستساعد نفسها بصورة فعالة ، وانه مالم تتحقق الاصطلاحات الاجتماعية الضرورية للتنمية الاقتصادية فان رءوس الاموال الامريكية سوف تضيع هباء ، ولهذا فانه يجب على هذه الدول أن تحقق الاصطلاحات الديمقراطية والا تستمر فى توجيه الانتقادات الى الولايات المتحدة او أن تتبع سياسة موالية للسوفييت .

وبالنسبة لأمريكا اللاتينية وضع كيندى برنامج « التحالف من اجل التقدم » لمساعدة الدول المتخلفة فى أمريكا اللاتينية على انشاء مجتمعات حرة .

ولتحقيق هذا الهدف يجب توفير كميات كبيرة من المال وتحقيق معرفة كبيرة بالسياسة الاجتماعية لدى الطبقات المحلية الحاكمة . ويجب على أمريكا أن تشكر خصومها لأنه لولا قيامهم باستعراض عضلاتهم ، ولولا وقوع الازمات ، مثل أزمتى كوبا وبرلين ، لما اتخذت امريكا هذه الاجراءات التى تعد — على الرغم مما تتطلبه من تضحيات جسيمة بالأرواح والاموال — ضرورية للمحافظة على سلامة أمريكا وحريتها .

فهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة المؤلف	٣
الباب الاول :	
أسلوب الديمقراطية فى معالجتها للسياسة الخارجية	٥
الباب الثانى :	
بداية الحرب الباردة	١٥
الباب الثالث :	
سياسة كبح الجماح فى أوربا	٢٩
الباب الرابع :	
سياسة كبح الجماح فى الشرق الأقصى	٤٥
الباب الخامس :	
استراتيجية حافة الحرب	٥٧
الباب السادس :	
برلين وأزمة الانتقام السامى	٧٥
الباب السابع :	
الدول المتحلفة وكفاح أمريكا من أجل البقاء	٨٥
الباب الثامن :	
تركة الخمسينات	٩٥
الباب التاسع :	
الحدود الجديدة والديمقراطية الامريكية	١٠١

الدار القومية للطباعة والنشر